الفرق بين المعجزات وغيرها من خوارق العادات

دكتور/ سامي بن علي القليطي
الأستاذ بقسم الدِّراسات الإسلاميَّة
كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة
جامعة طيبة بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾(٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

أمَّا بعد:

فقد اقتضت حكمة الخالق عزَّ في علاه أنْ يرسل الرسل إلى خلقه ليبينوا لهم الحق والهدى، ويأخذوا بأيديهم من الظلمات إلى النور، من ظلمات الشرك والإلحاد إلى نور الإيمان والتوحيد، ومن ظلمات الجهل والانحراف إلى نور العلم والمعرفة.

قال تعالى في حق أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات ٧٠-٧١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٣٩.

وقال تعالى في حقهم أيضاً: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(١).

وقال تعالى في حقهم أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ ﴾(٢).

وقال تعالى عن نبيه وكليمه موسى عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(٣).

وقال تعالى عن كتابه المبين ونبيه محمد الصادق الأمين ﷺ: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(٤).

وقال تعالى مخاطباً نبيه محمد ﷺ أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(٥).

ولما كان لكل دعوى أدلة وبراهين تدل على صحتها وصدق مدعيها، أيد الله تبارك وتعالى رسله وأنبياءه بأدلة عديدة تدل على صدق قولهم، وصحة ما جاؤوا به، ومن تلك الأدلة العظيمة التي أيد الله بها رسله؛ المعجزات الباهرات التي أجراها وأنزلها على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة السلام، والتي سماها في كتابه العزيز بأسماء متعددة؛ كالآية والبينة والبرهان.

قال تعالى عن معجزات كليمه موسى عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾(٦).

وقال تعالى عن معجزات كلمته عيسى عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِىۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِىۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِىۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(٧).

---

(١) سورة النساء، الآية ١٦٥.

(٢) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٥.

(٤) سورة إبراهيم، الآية ١.

(٥) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٦) سورة الإسراء، الآية ١٠١.

(٧) سورة المائدة، الآية ١١٠.

وقال تعالى في حق خليله محمد ﷺ: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[1].

ومع دلالة المعجزات ووضوحها على صدق الرسل وصدق ما جاؤوا به إلا أننا نجد قديماً وحديثاً من الناس من كابر وأنكرها، وطعن فيها؛ إما بالعناد والهوى والتكذيب، أو بالتأويل والشبهات، ومنهم من لم يفرق بينها وبين خوارق العادات الأخرى، التي قد تتفق وتشارك في بعض صفاتها معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فاختلط والتبس عليهم الأمر، وبعضهم آمن ببعضها، وأنكر بعضها الآخر، لاختلاط الأمر عليه بين المعجزات وخوارق العادات الأخرى، أو لتأثره بالماديات والمحسوسات.

ثم إنَّ دراسة مسألة " **الفرق بين المعجزات وغيرها من خوارق العادات** " يعدُّ في البحث والتخصص من الأهمية بمكان، فالمسألة تندرج تحت أصل من أصول الدين العظيمة، وهو الإيمان بالركن الرابع من أركان الإيمان الستة؛ أعني الإيمان بأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" إنَّ الكلام في المعجزات وخصائصها، والفرق بينها وبين غيرها من أشرف العلوم "[2].

وهذه الدراسة تتمحور مشكلتها، ويتضح هدفها في بيان الفرق بين المعجزات وغيرها من خوارق العادات، وذلك في الحديث عن المعجزات؛ ببيان مفهومها، وألفاظها الدالة عليها، وشروطها، وجواز وقوعها، ودلالتها، وحُكم الإيمان بها، وحِكمها، وأنواعها، والحديث عن خوارق العادات التي قد تقع؛ ببيان مفهوم الخوارق، والحديث عن كل نوع منها، ومن ذلك: الكرامة، والسحر، والإرهاص، والمعونة، والاستدراج، والإهانة، وموقف الكتاب والسنة ومعتقد أهل السنة منها، وأوجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين المعجزات.

وستكون معالجتي –بإذن الله تعالى– لهذه الدراسة معالجة علمية موضوعية، قائمة على الدليل والبرهان، وفق مناهج متعددة منها الوصفي والتحليلي والاستقرائي، موثقاً مواردها ومصادرها وفق ما يقتضيه المنهج العلمي.

([1]) سورة القمر، الآيات ١-٢.

([2]) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان (ص١٦٤).

وقد عنونت لها بـــ:" **الفرق بين المعجزات وغيرها من خوارق العادات** "، جاعلاً هيكلها مشتملاً على: فصلين رئيسين، تسبقهما مقدمة؛ فيها توطئة للموضوع، والمنهج الذي ستسير عليه الدراسة، ويقفو ذلك خاتمة؛ سأعرض فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم قائمة المراجع، وفهرس للموضوعات، وذلك على النحو التالي:

المقدمة.

الفصل الأول: مفهوم المعجزات وشروطها وحُكم الإيمان بها والحكمة منها وأنواعها.

المبحث الأول: تعريف المعجزة في اللغة والاصطلاح، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف المعجزة في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف المعجزة في الاصطلاح.

المطلب الثالث: ألفاظ المعجزات في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: شروط المعجزات.

المبحث الثالث: حُكم الإيمان بالمعجزات.

المبحث الرابع: دلالة المعجزات وحِكمها.

المطلب الأول: الأدلة على صدق الرسل.

المطلب الثاني: دلالة المعجزات على صدق الرسل.

المبحث الخامس: أنواع المعجزات.

الفصل الثاني: الفرق بين المعجزات وخوارق العادات الأخرى.

التمهيد: مفهوم الخوارق وأنوعها.

المطلب الأول: تعريف الخارق.

المطلب الثاني: أنواع الخوارق.

المبحث الأول: الفرق بين المعجزة والكرامة.

المطلب الأول: تعريف الكرامة.

المطلب الثاني: حُكم الإيمان بالكرامة.

المطلب الثالث: ضوابط وشروط حصول الكرامة.

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والافتراق بين المعجزة والكرامة.

المبحث الثاني: الفرق بين المعجزة والسحر.

المطلب الأول: تعريف السحر.

المطلب الثاني: وقوع السحر.

المطلب الثالث: أوجه الاتفاق والافتراق بين المعجزة والسحر.
المبحث الثالث: الفرق بين المعجزة والإرهاص.
المطلب الأول: تعريف الإرهاص.
المطلب الثاني: أوجه الاتفاق والافتراق بين المعجزة والإرهاص.
المبحث الرابع: الفرق بين المعجزة والمعونة.
المطلب الأول: تعريف المعونة.
المطلب الثاني: أوجه الاتفاق والافتراق بين المعجزة والمعونة.
المبحث الخامس: الفرق بين المعجزة والاستدراج.
المطلب الأول: تعريف الاستدراج.
المطلب الثاني: أوجه الاتفاق والافتراق بين المعجزة والاستدراج.
المبحث السادس: الفرق بين المعجزة والإهانة.
المطلب الأول: تعريف الإهانة.
المطلب الثاني: أوجه الاتفاق والافتراق بين المعجزة والإهانة.
الخاتـــمة.
قائمة المراجع.
فهرس الموضوعات.

هذا، والله أسأل أن يرزقني العون والتوفيق والسداد والاخلاص في القول والعمل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

مفهوم المعجزات وشروطها وحُكم الإيمان بها والحكمة منها وأنواعها

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المعجزة في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول : تعريف المعجزة في اللغة.

المعجزة مفرد وجمعها معجزات، وهي مشتقة من الفعل الثلاثي عجز، بمعنى ضعف، والعجز ضد القدرة، وعجز عن الأمر إذا فاته وقصر عنه وعن طلبه وإدراكه(١).

قال ابن منظور:"العجز نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز، وعجز عجزاً فيهما ... والمعجزة بفتح الجيم وكسرها مفعلة من العجز: عدم القدرة ... وقال الليث: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه"(٢).

وقال الرازي:"العجز بضم الجيم مؤخر الشيء يذكر ويؤنث، وهو للرجل والمرأة جميعاً، وجمعه أعجاز، والعجيزة للمرأة خاصة، والعجز الضعف ... وأعجزه الشيء فاته، وعجزه تعجيزاً ثبطه أو نسبه إلى العجز، والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"(٣).

وقال البغدادي:"المعجزة في اللغة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة؛ والمعجز في الحقيقة فاعل العجز في غيره؛ وهو الله تعالى، كما أنه هو المقدِّر؛ لأنه فاعل القدرة في غيره. وإنما قيل لأعلام الرسل عليهم السلام معجزات لظهور عجز المرسل إليهم عن معارضتهم بأمثالها، وزيدت الهاء فيها، فقيل معجزة للمبالغة في الخبر عن عجز المرسل إليهم عن المعارضة فيها. كما وقعت المبالغة بالهاء في قولهم علَّامة، ونسَّابة، وراوية"(٤).

---

(١) انظر: مختار الصحاح للرازي (ص٤١٤)، ولسان العرب لابن منظور (٣٦٩/٥-٣٧٠)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (١٨١/٢) ، والمعجم الوسيط (٦٠٦/٢).

(٢) لسان العرب (٣٦٩/٥-٣٧٠) .

(٣) مختار الصحاح (ص٤١٤) .

(٤) أصول الدين (ص١٧٠) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمة:"وأما لفظ المعجزة، فإنما يدل على أنه أعجز غيره، كما قال تعالى:﴿ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[2]"[3].

وقال الشيخ عبدالرزاق عفيفي:"المعجزة: كل مالم تبلغه طاقة البشر، ولم يقع في دائرة قدرتهم فهو معجزة، وقد تطلق المعجزة على ما خرج عن طاقة العامة من الخلق دون الخاصة؛ كبعض المسائل العملية، واختراع بعض الآلات والأجهزة الحديثة، وغيرهما مما لا يقوى عليه إلا خواص الناس؛ كالغوص والسباحة، وحمل الأثقال، وهذا عجز شئ يكون في مخلوق دون آخر"[4].

المطلب الثاني: تعريف المعجزة في الاصطلاح:

عرف العلماء المعجزة بتعاريف عدّة متقاربة أحياناً، مع بعض الاختلاف في اللفظ والمراد أحياناً أخرى، ومن هذه التعاريف:

قال الجرجاني:"المعجزة: أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من اداعى أنه رسول من الله"[5] .

وقال القاضي عبدالجبار:"أمر واقع من الله تعالى، تنتقض به العادة، ويتعذر على العباد فعله، خاص بمدعي النبوة، على وجه التصديق له"[6].

وقال الباقلاني:"المعجزة أمر واقع من الله تعالى، تنتقض به العادة، ويتعذر على العباد فعله، ويقع على يد مدعي النبوة؛ مقترناً بالتحدي على وجه التصديق له"[7].

وقال الرازي:"المعجزة عرفاً أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة"[8].

وقال البيجوري:"المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة، مع عدم المعارضة"[9] .

---

(١) سورة الزمر، الآية ٣٩.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٢٩.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤١٨/٥) .

(٤) مذكرة التوحيد (ص٦٠) .

(٥) التعريفات (ص٢٨٢).

(٦) المغني (١٩٩/١٥).

(٧) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات (ص١٧).

(٨) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (٢٩٠/٢) .

(٩) شرح جوهرة التوحيد (ص١٣٣).

وقال الزرقاني:"هي أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياه شاهداً على صدقه"(١).

وقال الشيخ صالح الفوزان:"المعجزة هي أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد من يختاره لنبوته، ليدل على صدقه، وصحة رسالته"(٢).

وقال الدكتور عمر الأشقر في تعريفها:"ما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من أمور خارقة للسنن الكونية المعتادة، التي لا قدرة للبشر على الإتيان بمثلها"(٣).

ومما سبق نستطيع أن نقول إن أقرب التعاريف وأجمعها – من وجهة نظري – ما ذكره الدكتور عبد العزيز الربيعة بقوله:" المعجزة: الأمر الخارق للعادة، الخارج عن سنن الله في خلقة، الذي يظهره الله على يد مدعي النبوة، على وفق مراده، تصديقاً له في دعواه، وتأييداً له في رسالته"(٤).

فقوله: "الأمر" ليتناول الفعل؛ كانفجار الماء من بين أصابع النبي ﷺ(٥)، ويتناول عدم الفعل؛ كعدم إحراق النار إبراهيم عليه السلام(٦).

وقوله (الخارق) يخرج ماليس بخارق(٧)، وكذلك كما إذا قال أحدهم: آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع، وغروبها من حيث تغرب(٨).

وقوله: (الخارج عن سنن الله في خلقة) وصف للخارق.

وقوله: (الذي يظهره الله على يد مدعي النبوة) يخرج بذلك الإرهاص، والكرامة، والمعونة، والاستدراج، وكذا يخرج ما يظهر على يد مدعي الألوهية؛ كالخوارق التي تظهر على يد الدجال في آخر الزمان(٩).

وقوله: (على وفق مراده) يخرج ما إذا جاءت مخالفة مراده، كما لو قال مدعي النبوة: معجزتي أن أحيي ميتاً، ثم أتى بخارق آخر.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (٧٣/١).

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص١٥٧).

(٣) الرسل والرسالات (ص١٢٣).

(٤) علم التوحيد (ص١١٥).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٢٣٢/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ (٣٨/١٥).

(٦) انظر: العقائد السلفية لأحمد بن حجر (١٠١/٢).

(٧) انظر: النبوات لابن تيمية (١٤٧/١–١٤٨، ٢٢٧)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١١٦).

(٨) انظر: شرح جوهرة التوحيد (ص١٣٣).

(٩) سيأتي الكلام عن ذلك كله في الفصل الثاني بإذن الله.

كما يخرج الإهانة، وهي ما يظهر من الخوارق علي يده تكذيباً له، كما لو قال: معجزتي نطق هذا الحجر، فنطق بأنه كذَّاب أشر[1].

المطلب الثالث: ألفاظ المعجزات في القرآن الكريم.

تسمى المعجزات عند العلماء والنّظار بأسماء عدة أشهرها؛ المعجزات، كما يطلق عليها اسم "دلائل النبوة"، و"أعلام النبوة"، و"علامات النبوة"، وهذه الإطلاقات والتسميات في تضاعيف كتب ومؤلفات العلماء كثيرة[2]، ومن تلك المؤلفات:

١- دلائل النبوة لأبي داود السجستاني.
٢- أعلام النبوة لابن قتيبة الدينوري.
٣- دلائل النبوة لأبي بكر بن أبي الدنيا.
٤- دلائل النبوة لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي.
٥- دلائل النبوة لأبي إسحاق إبراهيم بن حماد البغدادي.
٦- دلائل النبوة لأبي أحمد العسال.
٧- دلائل النبوة لأبي الشيخ ابن حبان.
٨- دلائل النبوة لابن مندة.
٩- تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار.
١٠-دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني.
١١-دلائل النبوة لأبي ذر الهروي.
١٢-أعلام النبوة لابن الحسن الماوردي.
١٣-دلائل النبوة لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني.
١٤-دلائل البنوة لأبي بكر النقاش.
١٥-دلائل النبوة للبيهقي.

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أنَّ تسمية آيات الأنبياء بدلائل النبوة وأعلام النبوة أدل على المقصود من لفظ " المعجزات "، وأنَّ اللفظ الذي أطلقه

(١) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (٢/٢٩٠)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص٥٥٦-٥٥٧)، وعلم التوحيد للربيعة (ص ١١٦-١١٧).

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (١/٩٠-٩١)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/٤١٢)، (٦/٣٦١-٣٦٥)، والنبوات لابن تيمية (١/٥٢-١٤٧،٥٦)،(٢/٩٣٩)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/٢٩٠-٢٩١) ، والعقائد السلفية لأحمد بن حجر (٢/١٠١)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١١٧).

الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز عليها؛ هو: الآية، والبينة، والبرهان، ويذكر أن السلف؛ كالإمام أحمد وغيره أطلقوا على خوارق الأنبياء معجزات وآيات[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمة رحمة الله:"ويسميها من يسميها من النّظار (معجزات) وتسمى (دلائل النبوة)، و(أعلام النبوة)، وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) و(البينة) و(البرهان)"[٢].

وأشير هنا إلى أن دلائل النبوة وعلامات النبوة، يراد منها كل دليل يثبت نبوة نبينا محمد ﷺ ويبرهن على صدقه عليه الصلاة والسلام، فأدلة وعلامات النبوة تشمل المعجزات وغيرها من براهين، كما تشمل السمات الخاصة بجسده الشريف ﷺ كخاتم النبوة، وغيره[٣]، وسيأتي الحديث عن الدلائل الدالة على صدق نبينا محمد ﷺ في المبحث الرابع من هذا الفصل بإذن الله تعالى.

ومن الآيات الكريمات التي ذكرها الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز في شأن معجزات الأنبياء وأطلق عليها الآية والبينة والبرهان ما يلي:

قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾[٤].

وقال تعالى أيضاً في قصة كليمه موسى عليه السلام فيما يتعلق بالعصا واليد: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾[٥].

وقال تعالى أيضاً في قصة موسى عليه السلام وحواره مع فرعون: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾[٦].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمة (٤١٢،٤١٩/٥)، وقاعدة في المعجزات والكرامات لابن تيمية (ص٧)، وانظر أيضاً: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٤٦/٢)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢٩٠/٢)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص٥٣٩-٥٤٠،٦٤٢-٦٤٣)، والرسل والرسالات لعمر الأشقر (ص١٢٤).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤١٢/٥).

(٣) انظر: العقائد السلفية لأحمد بن حجر (١٠٢/٢).

(٤) سورة الإسراء، الآية ١٠١.

(٥) سورة القصص، الآية ٣٢.

(٦) سورة الشعراء، الآيات ٣٠-٣٣.

وقال تعالى في قصة نبيه صالح عليه السلام مع قومه: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

وقال تعالى أيضاً عن نبيه صالح عليه السلام وقومه: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[2].

وقال تعالى في قصة كلمته عيسى عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[3].

وقال تعالى في حق عيسى وأمه عليهما السلام: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[4].

وقال تعالى في حق خليله محمد ﷺ: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[5].

وقال تعالى أيضاً في حق محمد ﷺ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[6].

وقال تعالى أيضاً في حق محمد ﷺ: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[7].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٧٣.

(٢) سورة الشعراء، الآيات ١٥٣-١٥٥.

(٣) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٤) سورة المؤمنون، الآية ٥٠.

(٥) سورة الأنعام، الآيات ٤-٥.

(٦) سورة العنكبوت، الآيات ٥٠-٥١.

(٧) سورة القمر، الآية ١-٢.

فآيات الأنبياء إذاً سميت بالمعجزات؛ لأنها تعجز العقل عن تفسيرها، كما أنها تعجز المرسل إليهم عن مجاراتها، والإتيان بمثلها، وهي آيات وبينات وبراهين أيضاً لبيان صدق الرسل وما جاؤوا به، فالتنوع في العبارات لا اختلاف في الاعتبارات[١].

المبحث الثاني: شروط المعجزات

للمعجزة شروط عدّة ذكرها أهل العلم – رحمهم الله – في تضاعيف كتبهم، ومن تلك الشروط:

١- اعتقاد أنَّ المعجزات من عند الله تبارك وتعالى، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يملكون أنْ يأتوا بالمعجزات ابتداء من عند أنفسهم، إنما يأتون بها من عند الله عز في علاه[٢]، كما قال تعالى في كتابه العزيز:﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾[٣]، وقوله تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٤]، وقوله تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٥].

٢- أنْ تكون: قولاً، أو فعلاً، أو تركاً:

فالأول: كالقرآن الكريم.

والثاني: كنبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ الشريفة[٦]، وتكثيره صلوات ربي وسلامه عليه الطعام القليل ليكفي الفئام والعدد الكبير من الناس[٧].

والثالث: كعدم إحراق النار لخليل الله إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى:﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٨][٩].

---

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص ١٧٠)، والثمرات الزكية في العقائد السلفية لأحمد فريد (ص١٨٩) .

(٢) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص١٧٦).

(٣) سورة الأنعام، الآية ٤.

(٤) سورة العنكبوت، الآيات ٥٠-٥١.

(٥) سورة الأعراف، الآية ٧٣.

(٦) سبق تخريجه .

(٧) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/٢٣٤-٢٣٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه (١٣/٢١٥-٢١٨).

(٨) سورة الأنبياء، الآية ٦٩.

(٩) انظر: العقائد السلفية لأحمد بن حجر (٢/١٠١)، وعلم التوحيد للربيعة (ص ١١٨).

٣- أنْ تكون المعجزة خارقة للعادة، فيمن هو معجز لهم وحجة عليهم، فلو لم تكن كذلك لم تكن معجزة تبهر العقول(١).

٤- أنْ تكون المعجزة على يد مدعي النبوة أو الرسالة، فالمعجزات تطلق على ما يأتي به الأنبياء والرسل من آيات وبراهين معجزة لمن أرسل إليهم(٢)، وقد يسمي بعض أهل العلم خوارق الأولياء معجزات وآيات باعتبار نبوة من اتبعهم من الأنبياء(٣).

٥- أنْ تكون المعجزة مطابقة لدعوى من ظهرت عليه على وجه التصديق، ولا تكون مكذبة له، وخرج بذلك المخالف لها، كما إذا قال آية صدقي: انفلاق البحر، فانفلق الجبل، وكما إذا قال آية صدقي نطق هذا الجماد فنطق بأنه كذاب(٤).

٦- أنْ لا تتأخر معجزة مدعي النبوة أو الرسالة تأخراً يعلم أنها لا تتعلق بها، إلا إذا كان يوجد ما يشير لزمن ظهورها(٥).

٧- أنْ تكون ليست من جنس ما يقدر عليه؛ لا الإنس ولا الجن، وبالتالي عدم الإتيان بمثلها طبعاً لا صرفاً، كما هو حقيقة الإعجاز، سواء كان في الجنس، أو على الوجه الذي وقع التحدي عليه إنْ كان تُحدي بها(٦).

٨- أنْ لا تكون في زمن نقض العادة، أي أنْ تكون في زمن التكليف، وخرج بذلك ما يقع من الدجال؛ كأمره للسماء أنْ تمطر فتمطر، وللأرض أنْ تنبت فتنبت(٧).

٩-وبعض العلماء يضيف شرطاً آخر وهو: أنْ يتحدى بها، كما ورد ذلك عن بعض العلماء والمتكلمين؛ كالباقلاني والرازي وابن حمدان والبيجوري وغيرهم(١).

---

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص١٧١)، والنبوات لابن تيمية (١٤٧/١)، (٩٤٢/٢)، والرسل والرسالات لعمر الأشقر (ص١٢٣) وعلم التوحيد للربيعة (ص١١٨).

(٢) انظر: أعلام النبوة للماوردي (ص٢٥)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٤١٩/٥)، والنبوات لابن تيمية (١٤٧،١٥١،١٦١/١)، (٩٨٦/٢-٩٨٧)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٦٣/٦)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢٩٠/٢-٢٩١)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٣٠٠/٢-٣٠٢).

(٣) انظر: ما سيأتي -بإذن الله- في المطلب الرابع من المبحث الأول في الفصل الثاني.

(٤) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص١٧١)، والإرشاد للفوزان (ص١٥٨)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١١٨)، وأفعال الرسول ﷺ لمحمد الأشقر (٢٥٢/١).

(٥) انظر: أعلام النبوة للماوردي (ص٢٧)، وأصول الدين للبغدادي (ص١٧١)، والنبوات لابن تيمية (٩٨٧/٢)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١١٨).

(٦) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص١٧١)، والنبوات لابن تيمية (٩٥٢/٢-٩٥٩)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١١٨)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص٥٥٨)، ودراسات في العقيدة الإسلامية لخالد القط (ص١٧٢).

(٧) انظر: أعلام النبوة للماوردي (ص٢٦)، وأصول الدين للبغدادي (ص١٧١)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١١٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمة –رحمه الله– عن هذا الشرط:"إنَّ عامة معجزات الرسول لم يكن يتحدى بها، ويقول ائتوا بمثلها، والقرآن إنما تحداهم لما قالوا إنه افتراه، ولم يتحداهم به ابتداء، وسائر المعجزات لم يُتحدّ بها، وليس فيما نقل تحدّ إلا بالقرآن، لكن قد علم أنهم لا يأتون بمثل آيات الأنبياء، فهذا لازم لها؛ لكن ليس من شرط ذلك أنْ يقارن خبره"(٢).

وقال أيضاً :"إنَّ آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النبي بها، ولا تحديه بالإتيان بمثلها، بل هي دليل على نبوته، وإنْ خلت عن هذين القيدين، وهذا كإخبار من تقدم بنبوة محمد ﷺ فإنه دليل على صدقه، وإنْ كان هو لم يعلم بما أخبروا به، ولا يستدل به. وأيضاً: فما كان يظهره الله على يديه من الآيات؛ مثل تكثير الطعام والشراب مرات؛ كنبع الماء من بين أصابعه غير مرة(٣)، وتكثير الطعام القليل حتى كفى أضعاف أضعاف من كان محتاجاً إليه(٤)، وغير ذلك كلها من دلائل النبوة، ولم يكن يظهرها للاستدلال بها، ولا يتحدى بمثلها بل لحاجة المسلمين إليها"(٥).

وقال أيضاً: "وخيار أولياء الله: كراماتهم لحجة في الدين، أو لحاجة بالمسلمين، كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك"(٦).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" قال بعض الناس: إنَّ معجزات السحرة لا تشتبه بآيات الأنبياء؛ لأن آيات الأنبياء مقرونة بالتحدي، فنقول: هذا غير صحيح، لأن آيات الأنبياء تارةً تكون تحدياً، وتارة تكون ابتداءً بدون تحدي، فقد جاء الصحابة رضي الله عنهم إلى الرسول عليه الصلاة والسلام في غزوة الحديبية وقالوا له: يا رسول الله، ليس عندنا ماء، فدعا بإناءٍ فوضع أصابع يده عليه، فجعل الماء يفور من بين

(١) انظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات للباقلاني (ص١٧)، وأصول الدين للبغدادي (ص١٧١)، والفصل لابن حزم (٢/٥)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢٩٠/٢)، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (١٥٧٧/٢)، وشرح جوهة التوحيد للبيجوري (ص١٣٣)، والمعجم الوسيط (٢٣٨/١)، وكبرى اليقينات الكونية للبوطي (ص٢١٤)، والعقائد السلفية لأحمد بن حجر (١٠١/٢-١٠٢).

(٢) النبوات (٩٥٢/٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) النبوات (٦٠١/٢-٦٠٢).

(٦) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٢٠٦)، وانظر أيضاً ما ذكره ابن حزم –رحمه الله– في الرد على من ذكر هذا الشرط في كتابه الفصل (٥/٥-٦).

أصابعه[١]، وليس في هذا تحد، وهم رضي الله عنهم لم يقولوا: ائتنا بآية، بل شكوا إليه قلة الماء، فجاءت هذه الآية، وآيات الرسول كثيراً ما تكون بغير تحد "[٢].

١٠- وبعض أهل العلم يضيف شرطاً آخراً؛ وهو: أنْ تكون المعجزة من جنس ما نبغ فيه قوم النبي المرسل إليهم؛ كمناسبة معجزات نبي الله موسى عليه السلام لأهل زمانه، التي أبهرت الأبصار وخضعت لها الرقاب، وكان السحرة كثر، أصحاب ذكاء وخبرة في السحر وفنونه، وكنبوغ قوم عيسى عليه السلام في الطب، وإرساله بمعجزات لا يستطيعونها، ولا يهتدون إليها؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونبينا محمد ﷺ بعث في زمن الفصحاء والبلغاء؛ حيث أنزل الله تعالى عليه القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فلفظه معجز تحدى به الإنس والجن، أنْ يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، وقطع عليهم بأنهم لا يقدرون الإتيان بمثله لا في الحال ولا في الاستقبال[٣].

وهذا الشرط ليس على الإطلاق فقد تقع المعجزة وتكون للحاجة إليها؛ كما في حوادث تكثير الطعام، ونبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ ليكفي ويشبع الفئام من الناس[٤]، لذا وجدنا بعض أهل العلم؛ كالماوردي يذكرون أنْ هذا الأمر؛ أعني المناسبة هو في الغالب والشائع المنتشر في أناس الدهر، وليس دائماً، ليكون ذلك أدعى للفهم، وأعظم للدلالة على المطلوب، وأمكن في الإلزام والالتزام بمقتضاها[٥].

المبحث الثالث: حُكم الإيمان بالمعجزات

إنَّ الإيمان بالمعجزات وحجيتها واجب لا ينكره إلا مغالط جاحد خاضع للهوى أو الجهل، ولو لم تكن المعجزات حجة توجب الإيمان بالرسل لما عاتب الله سبحانه وتعالى المشركين وعنفهم ووصفهم بالكذب والإعراض وعدم الإيمان بآيات ربهم[٦]، كما قال تعالى في كتابه العزيز:﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا

(١) سبق تخريجه .

(٢) شرح العقيدة السفارينية (ص٥٤٠).

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢/٩٩-١٠٠)، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة (ص٢٦-٢٧)، ومذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي (ص٦٣-٦٥)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٦-١٢٨)، ودراسات في العقيدة الإسلامية لخالد القط (ص١٧٢).

(٤) انظر: النبوات لابن تيمية (٢/٦٠١-٦٠٢).

(٥) انظر: أعلام النبوة للماوردي (ص٥٣)، ومذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي (ص٦٣)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٦).

(٦) انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد الرومي (ص٥٤٥-٥٤٦).

مُعْرِضِينَ ﴾[1]، وقولـــــه تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[4]، وقولـــــه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾[5].

ولقد توعد الله تعالى من كذب بها ولم يؤمن بعد حصولها بالعذاب الشديد[6]، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[8].

والآيات والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة جداً:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾[9].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٢٥.

(٣) سورة القمر، الآيات ١–٥ .

(٤) سورة الأنعام، الآية ٧ .

(٥) سورة الإسراء، الآية ١٠١.

(٦) انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد الرومي (ص٥٤٥–٥٤٦).

(٧) سورة المائدة، الآيات ١١٢–١١٥.

(٨) سورة الأعراف، الآية ٧٣.

(٩) سورة الحديد، الآية ٢٥.

وجاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه من البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أنْ أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة "(١).

قال البغدادي رحمه الله:"كانت معجزة آدم علمه بالأسماء من غير درس ولا قراءة كتاب، وكانت معجزة نوح الطوفان وخلاصه منه، ومعجزة هود الريح، وما كان من شأنها مع قوم عاد، ومعجزة صالح الناقة والصيحة التي دمرت على القوم، ومعجزة إبراهيم النجاة من النار، ومعجزة موسى اليد البيضاء، وقلب العصا حية، وحل العقدة من لسانه، وسائر الآيات التسع التي كانت له، ومعجزة داود تليين الحديد له، ومعجزة سليمان الريح، وتسخير الجن والشياطين له، ومعجزة عيسى إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك، وكذلك كل نبي له معجزة مخصوصة، واجتمعت لنبينا محمد ﷺ جميع وجوه المعجزات التي تفرقت في الأنبياء"(٢).

ومعجزات نبينا محمد ﷺ كثيرة جداً، أكثر من أن تحصى أو تحصر، وهب الله تعالى له ﷺ منها ما لم يهب للأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"آياته ﷺ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية، وإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة، لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلاً عن غير النبيين"(٣).

وقال السفاريني رحمه الله:"لم يبلغ أحد من الأنبياء من كثرة المعجزات ما بلغه نبينا ﷺ وهو دليل على مزيد التشريف والتكريم وشدة الاعتناء والاهتمام بشأنه"(٤).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله:"دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ لا تحصر، فإنَّ القرآن وهو معجزة من معجزاته قد احتوى من الإعجاز مالا يحصى كثرة، حتى بلغها العلماء ألوفاً كثيرة"(٥).

وقال الشيخ أحمد بن حجر:

ومعجـــــزات ســـــيد العبـــــاد كثيـــــرة تجـــــل عـــــن إعـــــداد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي (٣/٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ (١٨٦/٢).

(٢) أصول الدين (ص١٨٠).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٨٠/٦).

(٤) لوامع الأنوار (٢٩١/٢).

(٥) حاشية الدرة المضيئة (ص١٠٦).

أعظم آيات النبي يا قاري كلام ربنا العظيم الباري
لأنها المعجزة العلمية باقية ما بقي البرية
أمّا التي حسية كثيرة فهاك مني نبذة يسيرة
عين قتادة الصحابي ردها[1] في يوم بدر[2] واحذرن ردها
قد نبع الماء لجمع وافر بين أصابع النبي الطاهر
يوم الحديبية[3] وبالزوراء[4] عن النبي صح بلا امتراء
في يوم الأحزاب اللئام الكفرة إذ طوقوا المدينة المنورة
وقد روى جابر تكثير الطعام[5] عن النبي المصطفى خير الأنام
فسأل المولى فشق البدرا[6] لكنهم قد زعموه سحرا
وحن جذع النخلة للمختار[7] كما أتى في محكم الأخبار
فكم له من معجزات باهرة حررها ذوي العلوم الفاخرة[8]

ولقد نص بعض العلماء على عدد معجزاته ﷺ رقماً؛ حيث ذكر الإمام النووي – رحمه الله– في مقدمة شرح مسلم: أنَّ معجزاته ﷺ تزيد على الألف والمئتين[9]، وذكر السفاريني –رحمه الله– أنه أعطي ﷺ ثلاثة آلاف معجزة غير القرآن[10]، وذكر السلمان في كتابه " من معجزات النبي ﷺ" أكثر من مائة وخمس وتسعين معجزة وقعت له ﷺ[11].

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٨٢/٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٥١/٣)، وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٣٤/٤)، وابن حجر في الإصابة (٢٣٠/٥).

(٢) الصحيح معركة أحد، وليس معركة بدر.

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجة .

(٥) سبق تخريجة .

(٦) حادثة انشقاق القمر رواها البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾(١٧٨/٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر (١٤٣/١٧).

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٢٣٧/٤).

(٨) العقائد السلفية (١٠٠/٢).

(٩) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/١).

(١٠) انظر: لوامع الأنوار (٢٩٠/٢).

(١١) انظر: كتاب "من معجزات النبي ﷺ ".

كما أنَّ الناظر في كتب أصحاب الديانات الأخرى؛ كاليهودية والنصرانية، يجد نصوصهم تحدثت عن وقوع المعجزات، ووجوب الإيمان بها، فكتاب النصارى المقدس بعهديه القديم؛ الذي يؤمن به اليهود، والجديد بأناجيله وأسفاره، جاء فيه ذكر العديد من القصص حول ذلك، ففي سفر الخروج جاء أنَّ من معجزات موسى عليه السلام قلب العصا حية، وعودة اليد لطبيعتها من غير سوء[١]، وفي إنجيل مرقس جاء أنَّ عيسى عليه السلام وقعت على يديه معجزة تكثير الطعام القليل، والذي أشبع خمسة آلاف رجل[٢]، وفي إنجيل يوحنا جاء أنه قام بإحياء أحد الموتى[٣]، إلى غير ذلك من القصص والنصوص الواردة في كتبهم[٤].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:"إنَّ كل خارقة حدثت أو تحدث إلى يوم القيامة؛ فلا يصح ردها ولا قبولها إلا بعد عرضها على أحكام الشريعة، فإنْ ساغت هناك فهي صحيحة مقبولة في موضعها، وإلا لم تقبل، إلا الخوارق الصادرة على أيدي الأنبياء عليهم السلام، فإنه لا نظر فيها لأحد؛ لأنها واقعة على الصحة قطعاً؛ فلا يمكن فيها غير ذلك، ولأجل هذا حكم إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده بمقتضى رؤياه، وقال له ابنه:﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ ﴾[٥]، وإنما النظر فيما انخرق من العادات على يد غير المعصوم"[٦].

وقال البيجوري:"واعلم أنَّ ما كان منها معلوم بالقطع منقولاً بالتواتر كالقرآن؛ فلا شك في كفر منكره، ومالم يكن منها كذلك؛ فإنْ اشتهر؛ كنبع الماء من بين أصابعه[٧] ﷺ فسق منكره، وإنْ لم يشتهر وثبت بطريق صحيح أو حسن عزر منكره"[٨].

(١) انظر: سفر الخروج، الإصحاح ٤، الفقرات ١-٩.

(٢) انظر: إنجيل مرقس، الإصحاح ٦، الفقرات ٣٠-٤٣.

(٣) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح ١١، الفقرات ٢٨-٤٤.

(٤) انظر: سفر التكوين، الإصحاح ٥، الفقرة ٢٤، وسفر الملوك، الإصحاح ٤، الفقرات ١٧-٣٧، والإصحاح ١٧، الفقرات ١٧-٢٤، وسفر حزقيال، الإصحاح ٢٧، الفقرات ١-١٠، وسفر أعمال الرسل، الإصحاح ٩، الفقرات ٣٦-٤٢.

(٥) سورة الصافات، الآية ١٠٢.

(٦) الموافقات في أصول الشريعة (٢/٢١٢).

(٧) سبق تخرجه.

(٨) شرح جوهرة التوحيد (ص١٣٩).

ثم ليعلم أنَّ المعجزات يجوز وقوعها عقلاً، فإن مخالفة السنن الكونية المعروفة مما لم يقع دليل على استحالته، فهي وإنْ كانت مخالفة للعادة داخلة في نطاق الممكنات العقلية، ولا يلزم أنْ يكون المخالف لسنن الكون مخالفاً للعقل؛ أي محالاً.

قال الشيخ محمد عبده:"المعجزة ليست من نوع المستحيل عقلاً، فإن مخالفة السير الطبيعي المعروف في الإيجاد مما لم يقم دليل على استحالته؛ بل ذلك مما يقع، كما يشاهد في حال المريض، يمتنع من الأكل مرة لو لم يأكل فيها وهو صحيح لمات، مع وجود العلة التي تزيد الضعف وتساعد الجوع على الاتلاف. فإن قيل: إنَّ ذلك لا بد أنْ يكون تابعاً لناموس آخر طبيعي. قلنا: إنَّ واضع الناموس هو موجود الكائنات، فليس من المحال عليه أنْ يضع نواميس خاصة بخوارق العادات، غاية ما في الأمر أننا لا نعرفها، ولكنا نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل من عنده"(١).

وقال الشيخ محمد أبو شهبة:" إنَّ كل شيء أخبر الشارع بوقوعه فهو في دائرة الإمكان، ومن يدعي الاستحالة فعليه البيان"(٢).

وقال الدكتور الربيعة:"الناظر المتأمل لا يجد في جواز وقوع المعجزة مصادمة مع مقتضى العقل، ولا مخالفة لقوانينه، إذ أنَّ المعجزة لا تعدو عن كونها خارقة للعادة، خارجة عن سنن الله في خلقه، لا يقوى عليها من كلف باتباع الرسل من الجن والإنس، وخرق العادة ومخالفة السير الطبيعي المعروف في الإيجاد، مما لم يقم دليل على استحالته عقلاً "(٣).

وقال الدكتور فهد الرومي:"المعجزة التي جاء بها الأنبياء خارقة لأحكام العادة، وليست خارقة لأحكام العقل، فلا يحكم العقل ببطلان ما يخالف أحكام العادة، بل يؤمن بعدم انكسار الزجاج إذا رمي بالحجر، ويؤمن بعدم حرق الإنسان عند دخوله النار، ويؤمن بنبع الماء من بين أصابع الإنسان، ويؤمن بتسبيح الحصى، وحنين الجذع؛ لأن ذلك كله ليس خارقاً لأحكامه، بل هو خارق لأحكام العادة، وهو حينما يؤمن بهذا لا يؤمن به على أنه أمر عادي، بل يؤمن به على أنه أمر غير عادي، أي مخالف لأحكام العادة، ثم يذهب بعد هذا يطلب سبباً لهذا الخارق للعادة، حتى يصل إلى الحقيقة، إما معجزة نبي، أو سحر ساحر، أو شعوذة مشعوذ"(٤).

---

(١) رسالة التوحيد (ص٨٩).

(٢) الاسراء والمعراج (ص٢٢).

(٣) علم التوحيد (ص١١٥) .

(٤) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير (ص٥٧٠-٥٧١).

ونجد شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أشار في كتابه النبوات للطيفة دقيقة حول هذه المسألة؛ وهي أنَّ سنة الله تبارك وتعالى لا تتبدل ولا تتحول، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن نفسه بقوله تعالى:﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾(١)، وقوله:﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾(٢)، وذكر رحمه الله أنَّ ما يجريه الله تعالى على يد أنبيائه من آيات ومعجزات فيها خرق لعادة الآدميين، له أسبابه، وأنَّ ذلك من سنته وعادته في أمثال ذلك، حيث إنَّ الله تبارك تعالى من سنته وعادته المطردة أنَّ الآيات والمعجزات لا تكون إلا مع النبوة، والإخبار بها، لا مع التكذيب بها، أو التردد والشك فيها، ومن سنته اختصاصه سبحانه لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام والذين آمنوا بهم بخصائص يمتازون بها عن غيرهم؛ كالمعجزات والكرامات وغيرها، كما أنَّ من سنته محبته ورضاه وثوابه لا يكون إلا لمن عبده وأطاعه، وأنْ يجعل العاقبة للمتقين، وأنَّ نصره يكون للمؤمنين، فأفعاله تبارك وتعالى جارية على وجه الحكمة والعدل(٣).

ويذكر الشيخ عبد العزيز السلمان –رحمه الله–كلاماً مشابهاً في المعنى لما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– بشأن سنن الله وما يجريه من خوارق للأنبياء والأولياء حيث يقول عن أعظم حِكم ومصالح ذلك:"الدلالة على كمال قدرة الله، ونفوذ مشيئته، وأنه فعّال لما يريد، وأنه كما أنَّ لله سنناً وأسباباً تقتضي مسبباتها الموضوعة لها شرعاً وقدراً، فإنَّ لله أيضاً سنناً أخرى، لا يقع عليها علم البشر، ولا تدركها أعمالهم وأسبابهم، فمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، بل وأيام الله وعقوباته في أعدائه الخارقة للعادة كلها تدل دلالة واضحة على أنَّ الأمر كله لله، والتدبير والتيسير كله بيد الله، وأنَّ لله سنناً لا يعلمها إلا الله جل وعلا وتقدس"(٤).

المبحث الرابع: دلالة المعجزات وحِكمها

المطلب الأول: الأدلة على صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

لقد دلت أدلة كثيرة على صدق الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – ذكرها أهل العلم – رحمهم الله – في تضاعيف كتبهم، ولعل من أهم تلك الأدلة ما يلي:

---

(١) سورة الفتح، الآية ٢٣.

(٢) سورة فاطر، الآية ٤٣.

(٣) انظر: النبوات (٢/١٠٦١-١٠٦٤)، والجواب الصحيح (٦/٤١٩-٤٢١).

(٤) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (ص٧١٧)، وانظر أيضاً: الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان (ص٣١٣).

أولاً: المعجزات، وهي من أعظم دلائل النبوة الكثيرة الدالة على نبوة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وصدق وصحة ما جاؤوا به من عند الله تبارك وتعالى، وهي ليست الدليل الوحيد على صدق الأنبياء والرسل، كما يقرره المتكلمون(١).

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:"والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر، تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات؛ لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء، والسحر ونحو ذلك. ولا ريب أنَّ المعجزات دليل صحيح؛ لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإنَّ النبوة إنما يدَّعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالها تُعرِبُ عنها، وتُعرِّفُ بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟!"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله:"لم يكن من شرط الإيمان بالأنبياء وجود الآيات بل قد يعلم صدقهم بدون بذلك"(٣).

وقال ابن حجر آل بوطامي:"هناك فرق بين دلائل النبوة وعلامات النبوة، وبين المعجزة، فدلائل النبوة أو علامات النبوة يراد منه كل دليل يثبت نبوة محمد ﷺ ويبرهن على صدقه، دون تقييد بشروط معينة"(٤).

ثانياً : صدق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، هو من الأدلة الدالة على نبوتهم، فإنَّ الكاذب سرعان ما يظهر كذبه سواء كان في لسانه أو أفعاله، فالنبوة يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، فالصادق يكون ما يقوله ويفعله مطابق للواقع، والحوادث مؤيد لها، بعكس الكاذب، فهم صادقون فيما جاؤوا به، وفيما أوحي إليهم، ومصدقون من الله تبارك وتعالى في دعواهم، وقد وصفهم الله تعالى بالصدق والصديقية(٥)، قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾(٦)، وقال

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص١٧٣)، والنبوات لابن تيمية (٥٩١/٢، ٦٣٠-٦٣١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٤٠/١)، ودلائل التوحيد للقاسمي (ص٦٢)، والإرشاد للفوزان (ص١٥٧)، والرسل والرسالات لعمر الأشقر (ص١٢٢).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١٤٠/١).

(٣) النبوات (٩٣٧/٢).

(٤) العقائد السلفية (١٠٢/٢).

(٥) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمة (١٤١/١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٤٠/١-١٤٣)، والإرشاد للفوزان (ص١٥٨).

(٦) سورة مريم، الآية ٤١.

تعالى:﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾[2].

قال أبن أبي العز الحنفي رحمه الله:"إنَّ النبوة إنما يدَّعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالها تُعرِبُ عنها، وتُعرِّفُ بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟! وما أحسن ما قال حسان ﷺ:

لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر[3].

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإنَّ الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور، ويأمرهم بأمور، ولا بد أنْ يفعل أموراً، يبين بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به، وما يخبر عنه، وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده"[4].

ثالثاً: ما جبل عليه الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – من مكارم الاخلاق، ومحاسن الشيم، والبعد عن قبائح الفعال، وسفاسف الأمور ورذائلها[5]، قال تعالى:﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[6].

قال أبو عبد الله السنوسي:"وأما الرسل –عليهم الصلاة والسلام– فيجب في حقهم: الصدق والأمانة وتبليغ ما أمروا بتبليغه للخلق، ويستحيل في حقهم –عليهم الصلاة والسلام– أضداد هذه الصفات؛ وهي: الكذب والخيانة بفعل شيء مما نهوا عنه نهي تحريم أو كراهة، أو كتمان شيء مما أمروا بتبليغه للخلق، ويجوز في حقهم – عليهم الصلاة والسلام– ما هو من الأعراض البشرية التي لا تؤدي لنقص في مراتبهم العلية؛ كالمرض ونحوه"[7].

---

(١) سورة مريم، الآية ٥٦.

(٢) سورة مريم، الآية ٥٤.

(٣) نسب هذا البيت الحافظ ابن حجر لعبد الله بن رواحه ﷺ كما في الإصابة في تمييز الصحابة (٣١٦/٦)، ونسبه قبله شيخ الإسلام ابن تيمية لعبد الله أيضاً كما في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣١٦/٤).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١٤٠/١-١٤١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣١٩/٤)، وإرشاد الفحول للشوكاني (٩٨/١-١٠٠)، والرسل والرسالات للأشقر (ص١٠٥).

(٦) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

(٧) شرح أم البراهين للسنوسي (ص٥٥).

رابعاً: بشارة الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين، دليل آخر من أدلة صدق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وفي ذلك يقول الله تعالى عن الأنبياء السابقين(١)، وتبشيرهم بنبينا محمد ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(٢)، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٣)، وقال تعالى في بشارة موسى عليه السلام بنبينا محمد ﷺ: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٤)، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(٥).

خامساً: إنَّ من أظهر العلوم المتواترة على صدق الأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام– العلم بأنه كان في الأرض من يقول: إنه رسول الله، وأنَّ أقواماً وأمماً اتبعوهم وساروا على نهجهم وطريقتهم، وأقواماً خالفوهم وكفروا بهم، وأنَّ الله نصر الرسل وأتباعهم من المؤمنين وجعل العاقبة والظفر لهم، وخذل أعدائهم ومخالفيهم ومن كفر بهم(٦).

---

(١) انظر: الرسل والرسالات للأشقر (ص١٢٢، ١٦١–١٩٤)، والأدلة على صدق النبوة المحمدية لهدى عبد الكريم (ص١–٩٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨١.

(٣) سورة البقرة، الآيات ١٢٧–١٢٩.

(٤) سورة الأعراف، الآيات ١٥٦–١٥٧.

(٥) سورة الصف، الآية ٦.

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/١٥١)، والرسل والرسالات للأشقر (ص٢٠٣).

سادساً: إخبار الأنبياء لأقوامهم ولأممهم بما سيكون من انتصارهم، وخذلان أعدائهم، ووقوع الخبر كما قالوا، وتأييد الله لهم ونصرتهم؛ دليل على صدقهم عليه الصلاة والسلام، فقد علم من سنته سبحانه وتعالى أنه لا يؤيد الكاذب بمثل ما يؤيد به الصادق؛ بل لا بد أنْ يفتضح الكاذب، وقد يمهله ثم يهلكه(١).

سابعاً: أنَّ من عرف ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام من منهج متكامل من الشرائع والأحكام والمعتقدات والأخلاق وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنَّ ذلك لا يحصل من كذاب مفتر أو جاهل(٢).

ثامناً: أنَّ من عرف ما جاء به الأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام– من الرحمة والمصلحة والهدى والنور والخير، ودلالة الخلق على ما ينفعهم، وتحذيرهم ومنعهم مما يضرهم؛ تبين له أنَّ ذلك لا يصدر إلا عن راحم بر يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق والبشرية مرسل من عند ربه(٣).

تاسعاً: ما يقع للأنبياء وأتباعهم من إجابة الدعوات، وكشف الكربات، وستر العورات، وتيسير الضروريات، وقضاء الحاجات؛ لدليل على صدقهم عليهم الصلاة والسلام(٤).

عاشراً: أنَّ طريقة الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – واحدة فيما يأمرون به، من عبادة الله تعالى وتوحيده، والعمل بطاعته، والتصديق باليوم الآخر، والإيمان بجميع الكتب والرسل؛ فلا يمكن خروج واحد منهم عما اتفقوا عليه؛ فهم يصدق بعضهم بعضاً، ويصدق متأخرهم بمتقدمهم، ويبشر متقدمهم بمتأخرهم؛ كما بشر المسيح عليه السلام ومن قبله بمحمد ﷺ، وكما صدق محمد ﷺ جميع النبيين قبله(٥).

المطلب الثاني: دلالة المعجزات على صدق الرسل وحِكمها.

إنَّ من أعظم الأدلة الدالة على نبوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وصدق وصحة ما جاؤوا به من عند الله تبارك وتعالى، وقوع المعجزات على أيديهم، فالمعجزات آيات وأدلة وبراهين وبينات جاء بها الأنبياء لأقوامهم وفيها بيان صدقهم،

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٤١٧/٦)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٥٢/١)، ودلائل التوحيد للقاسمي (ص٦٢-٦٣)، والإرشاد للفوزان (ص١٥٧- ١٥٨)، والرسل والرسالات للأشقر (ص٢٠٣).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٥٣/١)، والإرشاد للفوزان (ص١٥٧)، والرسل والرسالات للأشقر (ص١٢٢، ٢٠١).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٥٣/١)، وشرح أصول الإيمان لابن عثيمين (ص١٧-١٨).

(٤) انظر: دلائل التوحيد للقاسمي (ص٦٣)، وشرح أصول الإيمان لابن عثيمين (ص١٧-١٨).

(٥) انظر: الإرشاد للفوزان (ص١٥٨).

وصدق دعوتهم، وإقامة الحجة على المرسلين لهم[١]، كما قال تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– في تفسيره للآية:" أي بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" المعجزات قد يُعلم بها ثبوت الصانع، وصدق رسوله معاً"[٤].

وفي ذلك يقول الله تعالى لكليمه موسى عليه السلام:﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٥]، وقال تعالى:﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[٦]، وقال تعالى عن نبيه صالح عليه السلام:﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾[٧].

قال الزرقاني رحمه الله:"إذا قام إنسان ما، وادعى أنه مبعوث الله إلى خلقه ورسوله إلى عباده، وقال: إنَّ آية صدقي فيما أدعيه: أنْ يغير الله الذي أرسلني عادة من عاداته على يدي، وسيأتيكم الله بهذا الأمر العجاب، من باب ترون أنكم فيه تابعون، وعليه قادرون، وإني أتحداكم زرافات ووحداناً أنْ تأتوا بمثل هذه الآية، ثم أنتم مجتمعون وأنا وحدي، قال ذلك بلغة الواثق ثائراً على عقائدنا وعاداتنا وأخلاقنا، ونحن أحرص من نكون على تعجيزه، والغلبة عليه، والظفر به، دفاعاً عن كرامتنا، وانتصاراً لأعز شئ لدينا، ثم أعطانا الفرصة الكافية لمناظرته، وأنصفنا كل إنصاف من نفسه، فهل يشك ذو مسكة من عقل، في أنَّ هذا الإنسان غير صادق في رسالته، غير محق

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص١٧٨-١٧٩)، والنبوات لابن تيمية (٢/٦٠١-٦٠٣، ٩٣٩، ٩٥٩)، ومذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي (ص٦٣)، وأفعال الرسول ﷺ للأشقر (١/٢٥١).

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٣١٥).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٩/٤٤).

(٥) سورة القصص، الآية ٣٢.

(٦) سورة الشعراء، الآيات ٣٠-٣٣.

(٧) سورة الأعراف، الآية ٧٣.

في دعايته، خصوصاً إذا عرضنا فوق ذلك كله، أنه نشأ فينا على الصدق والأمانة، ومكارم الأخلاق، من لدن صباه وطفولته، إلى يوم مبعثه ورسالته"(١).

ثم إنه مع اتفاق العلماء على أنَّ المعجزات علم صدق، وأنها دالة على صدقهم في نبوتهم وما جاؤوا به، إلا أنهم اختلفوا وذكروا طرقاً عدة في وجه دلالتها على صدق الرسل.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– بعضاً من هذه الطرق، وذهب لصحتها جميعاً، حيث قال:" للناس طرق في دلالة المعجزة على صدق الرسول: طريق الحكمة، وطريق القدرة، وطريق العلم والضرورة، وطريق سنته وعادته التي بها يعرف أيضاً ما يفعله؛ وهو من جنس المواطأة، وطريق العدل، وطريق الرحمة، وكلّها طرق صحيحة. وكلما كان الناس إلى الشيء أحوج، كان الربّ به أجود، وكذلك كلما كانوا إلى بعض العلم أحوج، كان به أجود؛ فإنه سبحانه الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وهو الذي خلق فسوّى، والذي قدَّر فهدى، وهو الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى. فكيف لا يقدر أنْ يهدي عباده إلى أنْ يعلموا أنَّ هذا رسوله، وأنَّ ما جاء به من الآيات أنّه من الله، وهي شهادة من الله له بصدقه، وكيف تقتضي حكمته أنْ يسوي بين الصادق والكاذب؛ فيؤيد الكاذب من آيات الصدق، بمثل ما يؤيّد به الصادق؛ حتى لا يعرف هذا من هذا، وأنْ يرسل رسولاً يأمر الخلق بالإيمان به وطاعته، ولا يجعل لهم طريقاً إلى معرفة صدقه"(٢).

وقال ابن تيمية –رحمه الله– في اختلاف وجهات العلماء في وجه دلالة المعجزات أيضاً ذاهباً لصحتها كلها:" أنّ للناس في وجه دلالة المعجزات؛ وهي آيات الأنبياء، على نبوتهم طرقاً متعددة: منهم من قال: دلالتها على التصديق تعلم بالضرورة. ومنهم من قال: تعلم بالنظر والاستدلال، وكلا القولين صحيح؛ فإنّ كثيراً من العلوم في هذا الباب؛ كدلالة الأخبار المتواترة، فإنّه قد يحصل بالخبر علم ضروري، وقد يحصل العلم بالاستدلال. وطائفة منهم الكعبي، وأبو الحسين البصري، وأبو الخطاب: أنَّه نظريّ. والتحقيق: أنَّ كلا القولين حق؛ فإنّه يحصل بها علم ضروري، والأدلة النظرية توافق ذلك. وكذلك كثيرٌ من الأدلة والعلامات والآيات: من الناس من يعرف استلزامها للوازمها بالضرورة، ويكون اللزوم عنده بيِّناً، لا يحتاج فيه

(١) مناهل العرفان (٧٤/١).

(٢) النبوات (٨٢١/٢-٨٢٥).

إلى وسط ودليل. ومنهم من يفتقر إلى دليل، ووسط يبيِّن له أنَّ هذا الدليل مستلزمٌ لهذا الحكم، وهذا الحكم لازم له. ومن تأمل معارف الناس وجد أكثرها من هذا الضرب؛ فقد يجيء المخبر إليهم بخبر، فيعرف كثير منهم صدقه أو كذبه بالضرورة، لأمور تقترن بخبره. وآخرون يشكّون في هذا. ثمّ قد يتبين لبعضهم بأدلة، وقد لا يتبيَّن. وكثيرٌ من الناس يعلم صدق المخبر بلا آية البتة، بل إذا أخبره، وهو خبير بحاله، أو بحال ذلك المخبَر به، أو بهما، علم بالضرورة: إمّا صدقه، وإمّا كذبه. وموسى بن عمران لما جاء إلى مصر فقال لهارون وغيره: إنَّ الله أرسلني، علموا صدقه، قبل أنْ يُظهر لهم الآيات. ولما قال لهارون: إنَّ الله قد أمرك أنْ تؤازرني، صدَّقه هارون في هذا، لما يعلم من حاله قديماً، ولما رأى من تغير حاله الدليل على صدقه"(١).

ولوقوع المعجزات على أيدي الأنبياء والرسل عليهم السلام بالإضافة للدلالة على نبوتهم وصدقهم حِكم كثيرة؛ منها ما يلي:

١- إعداد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتحمل تكاليف الدعوة.

٢- معونة من الله لأنبيائه ورسله على أعدائهم؛ ومن ذلك إنزال الملائكة للقتال معهم أحياناً، كما حدث مع نبينا محمد ﷺ يوم بدر، وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾(٢).

٣- إظهار فضل الأنبياء وبيان مكانتهم ومنزلتهم؛ كحادثة الإسراء والمعراج لنبينا محمد ﷺ كما قال سبحانه وتعالى:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٣).

٤- الإعذار لمن كفر بهم، ولم يؤمن بهم.

٥- رحمة بالأنبياء والرسل وتسلية وتسرية عنهم عليه الصلاة والسلام.

٦- التثبيت لأتباع الأنبياء والرسل عليهم السلام في طريقهم ودعوتهم وجهادهم.

---

(١) النبوات (٣/١٠٨٢-١٠٨٤).

(٢) سورة آل عمران، الآيات ١٢٣-١٢٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية ١، وذكرت القصة أيضاً في صحيح البخاري، كتاب المبعث النبوي، باب حديث الإسراء، وباب المعراج (٥/٦٦-٦٧).

٧- حصول الطمأنينة بصدقهم، ومن ثم الانقياد لهم واتباعهم والعمل بمنهجهم وطريقتهم وسنتهم.

٨- الحاجة إليها، كتفريج الكرب وإزالة الشدة؛ ومن ذلك تكثير الطعام، ونبع الماء من بين الأصابع لنبينا محمد ﷺ، وإلانة الحديد لداود عليه السلام، وإسالة عين القطر؛ أي: النحاس لسليمان عليه السلام،كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[(١)].

٩- وقوع التحدي في بعض منها بعد التكذيب بها؛ كما تحدى الله المشركين وكفار مكة بأنْ يأتوا بمثل القرآن الكريم أو بعضه، حينما قال المشركون هو مفترى.

١٠-حفظ الله تعالى لأنبيائه من كيد أعدائهم بغير الأسباب المعتادة؛ كجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، ورفع عيسى عليه السلام إلى السماء حينما أراد قومه قتله، وخرق البحر لموسى عليه السلام حينما أراد فرعون وجنده قتله[(٢)].

المبحث الخامس: أنواع المعجزات

إنَّ الآيات والمعجزات الباهرات التي أيد الله تبارك تعالى بها رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، اختلفت وتعددت أنواعها، وتباينت مظاهرها وأشكالها وألوانها، ناسبت في الغالب ما انتشر وبرز في عصورهم، إلا أننا نجدها تجتمع في أنَّ كلاً منها عجز البشر عن الإتيان بمثلها زرافات أو وحداناً، فكانت بذلك من شواهد ودلائل الصدق على نبوتهم ورسالتهم، وحجج قاطعة، تخرس الألسنة، وينقطع عندها الخصوم، ومن ثم يكون الإيمان والإلزام والقبول والتسليم، وبذلك يتحقق المراد والمطلوب[(٣)].

وهذه الآيات والمعجزات الباهرات تندرج بعد استقراء كما يذكر بعض العلماء تحت أمور ثلاثة، أولها: العلم، وثانيها: القدرة، وثالثها: الغنى، وبعضهم يجعلها تندرج

(١) سورة سبأ، الآيات ١٠-١٢.

(٢) انظر في هذه الحكم: النبوات لابن تيمية (٦٠١/٢-٦٠٢،٩٥٢)، والجواب الصحيح لابن تيمية (٤٢٣/٦)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص٢٠٦)، وفتح القدير للشوكاني (٦٨/٣)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٤٣٩/١-٤٤٠)، وأفعال الرسول ﷺ للأشقر (٢٥١/١)، ومذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي (ص٦٥-٦٦)، وعلم التوحيد للربيعة (١٢٨-١٢٩)، والأدلة على صدق النبوة المحمدية لهدى عبدالكريم (ص١٧٩).

(٣) انظر: مذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي (ص٦٣)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٦).

تحت أمرين، أولها: العلم، وثانيها: القدرة، ويجعل القدرة في نوعين؛ قدرة على الفعل وهي التأثير، وقدرة على الترك؛ وهي الغنى(١).

وهذه الأمور الثلاثة التي تندرج وترجع إليها المعجزات لا ينبغي ولا تصلح أنْ تكون على وجه الكمال إلا لله وحده؛ فهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير، وهو الغني سبحانه وتعالى عن العالمين، ولذلك أمر الله عز في علاه نبيه ﷺ أنْ يبرأ من دعوى هذه الأمور، كما قال تعالى آمراً نبيه محمد ﷺ بقوله: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢).

فأُمر عليه الصلاة والسلام أنْ يبرأ من دعوى علم الغيب، وملك خزائن الله، ومن كونه ملكاً مستغنياً عن الأكل والشراب والمال، ومن ثم الاعتراف بأنه متبع لما يوحى إليه طائعاً عابداً لربه، وأنه ﷺ وجميع إخوانه الرسل ينالون من تلك الأمور الثلاثة التي تندرج تحتها المعجزات ما يعطيهم الله تعالى، فيعلم ما علمه الله، ويقدر على ما أقدره الله عليه، ويستغني عما أغناه الله عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة أغلب الناس والبشر(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله:"إنَّ الخوارق منها ما هو من جنس العلم؛ كالمكاشفات، ومنها ما هو من جنس القدرة والملك؛ كالتصرفات الخارقة للعادات، ومنها ما هو من جنس الغنى عن جنس ما يعطاه الناس في الظاهر من العلم والسلطان والمال والغنى"(٤).

قال الدكتور عمر الأشقر:" الإخبار بالمغيبات الماضية والآتية؛ كإخبار عيسى قومه بما يأكلون وما يدخرونه في بيوتهم، وإخبار رسولنا ﷺ بأخبار الأمم السابقة، وإخباره بالفتن وأشراط الساعة، التي ستأتي في المستقبل؛ كل ذلك من باب العلم. وتحويل العصى حية، وإبراء الأكمة والأبرص، وإحياء الموتى، وشق القمر هذا من باب القدرة. وعصمة الله لرسله – عليهم الصلاة والسلام – من الناس، وحمايته لهم

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٣١٢-٣١٨)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٧٤٦-٧٤٧)، والرسل والرسالات للأشقر (ص ١٢٤-١٢٥).

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٣١٢-٣١٣)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٧٤٦-٧٤٧)، والرسل والرسالات للأشقر (ص١٢٥).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٢٩٨- ٢٩٩).

عمن أراد بهم سوء، ومواصلة النبي ﷺ للصيام[١] مع عدم تأثير ذلك على حيويته ونشاطه من باب الغنى"[٢].

وهناك تقسيمات أخرى للمعجزات ذكرها بعض العلماء في تضاعيف كتبهم غير هذا التقسيم الذي هو في نظري من أفضلها وأجمعها، والذي وصفه ابن تيمية – رحمه الله – بالأجود[٣]، وقال عنه ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله – بعد أنْ ذكره:" جميع المعجزات والكرامات لا تخرج عن هذه الأنواع "[٤]، ومن أشهر تلك التقسيمات من جعلها في قسمين؛ معنوية، وهي التي تدرك بالعقل، وحسية؛ وهي التي تدرك بإحدى الحواس، خاصة حاستي السمع والبصر[٥].

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الوصال (٤٨/٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال (٢١١/٧-٢١٢).

(٢) الرسل والرسالات (ص١٢٤-١٢٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣١٢/١١).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٧٤٧/٢).

(٥) انظر التقسيمات: أعلام النبوة للماوردي (ص٢٦-٢٨)، وأصول الدين للبغدادي (ص١٧١-١٧٢)، والجواب الصحيح لابن تيمية (٤٢٠/٥-٤٢١)، والبداية والنهاية لابن كثير (٦٧/٦)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٦-١٢٨)، ودراسات في العقيدة للقط (ص١٧٤).

الفصل الثاني

الفرق بين المعجزات وخوارق العادات الأخرى

وفيه تمهيد، وستة مباحث:

التمهيد: مفهوم الخوارق وأنواعها

المطلب الأول: تعريف الخارق.

الخارق مفرد، وجمعه خوارق، وهو ما خالف العادة، أي عادة الآدميين.

والمقصود بخوارق العادات: ما يأتي ويصدر على خلاف العادة الكونية، التي اعتادها الآدميين، وهي تثبت ولو بمرة واحدة(١).

قال التهانوي:"الخارق في عرف العلماء هو: الأمر الذي يخرق بسبب ظهوره العادة"(٢).

وقال القاسمي:"الخارق ما يصدر من القادر المختار على خلاف ما قرره في الخليقة"(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:"آية النبي لابد أنْ تكون خارقة للعادة، بمعنى أنها ليست معتادة للآدميين"(٤).

وقال أيضاً:"وقولنا يخرق عادتهم؛ هو من باب العادة التي تثبت بمرة"(٥).

وأشير هنا إلى ما تم ذكره سابقاً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – من أنَّ سنة الله تبارك وتعالى لا تتبدل ولا تتحول كما أخبر سبحانه وتعالى عن نفسه بقوله تعالى:﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾(٦)، وأنَّ ما يجريه الله تبارك وتعالى من معجزات وخوارق على يد أنبيائه وأوليائه وفيها خرق لعادة الآدميين، له أسبابه، وأنَّ ذلك من سنته وعادته في أمثال ذلك، حيث إنَّ الله تبارك تعالى من سنته وعادته المطردة أنَّ الآيات والمعجزات لا تكون إلا مع النبوة، والإخبار بها، لا مع التكذيب بها، وأنَّ من سنته تعالى اختصاصه لأنبيائه والذين آمنوا بهم بخصائص يمتازون بها عن غيرهم؛ كالمعجزات والكرامات وغيرها، كما أنَّ من سنته

---

(١) انظر: النبوات لابن تيمية (١/١٨٧-١٨٨)، (٢/١٠٣٠،١٠٢١،٩٩٠)، ودلائل التوحيد للقاسمي (ص٦٤)، والمعجم الوسيط (١/٢٣٨)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/٣٠٣).

(٢) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون (١/٧٣١).

(٣) دلائل التوحيد (ص٦٤).

(٤) النبوات (١/١٨٨).

(٥) المرجع السابق (٢/١٠٢١).

(٦) سورة الفتح، الآية ٢٣.

محبته ورضاه وثوابه لا يكون إلا لمن عبده وأطاعه، وأنَّ عاقبته للمتقين، ونصره للمؤمنين، فأفعاله تبارك وتعالى تجري على وجه العدل والحكمة [١].

المطلب الثاني: أنواع الخوارق.

إنَّ لخوارق العادات أنواعاً عدة ذكرها أهل العلم – رحمهم الله – في تضاعيف وبطون كتبهم، فمنها ما هو محمود في الدين، ومنها ما هو مذموم، ويمكن إجمالها في الآتي:

١- المعجزة.
٢- الإرهاص.
٣- الكرامة.
٤- المعونة.
٥- الاستدراج.
٦- الإهانة.
٧- السحر [٢].

وجمع جلها الناظم في قوله:

إذا ما رأيت الأمر يخرق عادة فمعجزة إنْ من نبي لنا صدر
وإنْ بان منه قبل وصف نبوة فالإرهاص سمه تتبع القوم في الأثر
وإنْ جاء يوماً من ولي فإنه الكرامة في التحقيق عند ذوي النظر
وإنْ كان من بعض العوام صدوره فكنوه حقاً بالمعونة واشتهر
ومن فاسق إنْ كان وفق مراده يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
وإلا فيدعى بالإهانة عندهم وقد تمت الأقسام عند الذي اختبر [٣]

---

(١) انظر: النبوات (١٠٦١/٢-١٠٦٤)، والجواب الصحيح (٤١٩/٦-٤٢١)، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان (ص٧١٧)، والأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان (ص٣١٣).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٤٧/٢)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٢/٢)، وكشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوي (٧٣١/١)، وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري (ص١٣٣-١٣٤)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص٦٤٢-٦٤٤)، والعقائد السلفية لأحمد بن حجر (٤٢٤/٢)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١١٦-١١٧).

(٣) انظر: شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (ص١٣٤).

فهذه سبعة خوارق للعادة يمكن جمعها، وقال بها العلماء، وقد تقدم الحديث عن المعجزة منها في الفصل الأول، وسيأتي الحديث في مباحث ومطالب هذا الفصل –بإذن الله تبارك وتعالى– عن بقيتها، وبيان أوجه الاتفاق والافتراق بينها وبين معجزات وآيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الأول: الفرق بين المعجزة والكرامة

المطلب الأول: تعريف الكرامة.

الكرامة في اللغة مفردة كرامات، وهي من الكرم، يقال أكرم فلان: أكرمه وفضله، وكَرُم السحاب جاد بمطره، ويقال: أكرم الرجل وكرمه؛ أي أعظمه ونزهه وفضله وأعطاه.

والكرم ضد ونقيض اللؤم، كما قال ابن سيده:"الكرم نقيض اللؤم يكون في الرجل بنفسه وإنْ لم يكن له آباء"(١).

والكريم اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، فهو سبحانه كثير الخير والعطايا، وعطاياه سبحانه وتعالى كرامات لخلقه وعباده(٢).

والكرامة في الاصطلاح كما يعرفها أهل العلم هي:"أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد ولي من أوليائه، معونة له على أمر ديني، أو دنيوي"(٣).

وجاء في تعريفها أيضاً أنها:"أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد، والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم"(٤).

وجاء أيضاً:" هي أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالى على يد ولي، تأييداً له، أو إعانة، أو تثبيتاً، أو نصراً للدين"(٥).

ويسمي بعض أهل العلم خوارق الأولياء معجزات وآيات وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره عن بعض السلف؛ كالإمام أحمد وغيره رحم الله الجميع(٦)، وسيأتي مزيد إيضاح لذلك في المطلب الرابع من هذا المبحث بإذن الله.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٥١٠/١٢).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٥١٠/١٢)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (١٧٠/٤)، والمعجم الوسيط (٨١٦/٢).

(٣) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس (ص١٦١).

(٤) لوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٢/٢)، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان (ص٧١٧).

(٥) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢٩٩/٢)، وانظر أيضاً: التعريفات للجرجاني (ص ٢٣٥)، وأعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي (ص١٩٢)، والإرشاد للفوزان (ص١٩٢)، وأفعال الرسول الله ﷺ للأشقر (٢٥٢/١). وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٠).

(٦) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤١٩/٥).

وقد استقر عند العلماء المتأخرين أنَّ ما يخص الأنبياء يسمى معجزة وآية، وما يخص الأولياء يسمى كرامة[١].

المطلب الثاني: حُكم الإيمان بالكرامة.

اتفق علماء أهل السنة على جواز وقوع الكرامات عقلاً، ووقوعها واقعاً وشرعاً، وأنها ليست مستحيلة في ذاتها، ووجوب الإيمان بها، إذ لا تعدو أنْ تكون خارقة للعادة، مما تشمله القدرة الإلهية، والوقائع الصحيحة في ذلك كثيرة متواترة مشهورة، وهي أخف قدراً من المعجزات كما سيأتي في المطالب القادمة[٢].

قال الإمام الطحاوي رحمه الله:"ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة"[٤].

وقال الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله:"وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة، ودلت الوقائع قديماً وحديثاً، على وقوع كرامات الله لأوليائه المتقين لهدى أنبيائهم"[٥].

وقال الإمام السفاريني رحمه الله عن الإيمان بها:"هذا من العقائد السنية التي يجب اعتقادها ولا يجوز نفيها وإهمالها ولهذا قال:

وكل خارق أتى عن صالح من تابع لشرعنا وناصح
فإنها من الكرامات التي بها نقول فاقف للأدلة"[٦]

وقال أيضاً:"إنَّ كرامات الأولياء، ثابتة بالعيان والبرهان، أمَّا أولاً: فإنَّ وجودها جائز عقلاً، واقع عياناً وشرعاً ... وثانياً: ما تواتر معناه، وإنْ كانت تفاصيله آحاداً، من كرامات الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وإلى وقتنا هذا، مما ذاع وشاع، وملأ

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٤٦/٢)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٠).
(٢) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٤/٢)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٠).
(٣) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز (٧٤٦/٢).
(٤) العقيدة الواسطية مع شرحها لمحمد خليل هراس (ص١٦١).
(٥) شرح العقيدة الواسطية (ص١٦١).
(٦) لوامع الأنوار (٣٩٢/٢).

الآفاق والأسماع، وضاقت عن إحصائه الدفاتر، وشهدت بوجوده الأكابر والأصاغر، ولا ينكره إلا معاند ومكابر، فلا جرم فهو الحق الصراح، الرادع لأصل الإنكار والكفاح"(١).

ومن أمثلة الكرامات الوارد وقوعها:

١-ما حدث لمريم عليها السلام، من حمل، ووجود رزق عندها بلا سبب، كما قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾(٢).

٢-قصة أصحاب الكهف الواردة في كتاب الله عز وجل وما تضمنته من كرامات لعباده الصالحين.

٣-قصة أصحاب الصخرة من بني إسرائيل الذين سد عليهم الغار بالصخرة ثم انفراجها وما تضمنته من كرامات(٣).

٤-قصة سارية الجبل، فقد جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان يخطب الناس يوم الجمعة على المنبر، فسمعوه يقول: يا سارية الجبل، فتعجب الناس من كلامه؛ فسألوه عن ذلك، فذكر أنه كشف له عن سارية بن زنيم الكناني ﷺ -وهو أحد قادته في العراق من الصحابة الكرام- وأنه محصور من عدوه، فوجهه إلى الجبل، وقال له: يا سارية الجبل؛ فسمع سارية صوت عمر وانحاز إلى الجبل، وتحصن به(٤).

٥-قصة العلاء الحضرمي ومشيه على الماء، فعن سهم بن منجاب قال:" غزونا مع العلاء بن الحضرمي، فسرنا حتى أتينا دارين، والبحر بيننا وبينهم. فقال: يا عليم، يا حليم، يا علي، يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك، نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً، فنقتحم البحر، فخضنا ما يبلغ لبودنا الماء فخرجنا إليهم"(٥).

---

(١) لوامع الأنوار (٣٩٤/٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣٧.

(٣) رواها البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب من أستأجر أجيراً فترك أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد (١١٩/٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة (٥٥/١٧).

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣٤/٧-١٣٥)، والاصابة لابن حجر (٩٦/٤)، وقال الحافظ ابن كثير عن القصة:" إسنادها جيد حسن"، وقال أيضاً عن طرق القصة:" فهذه طرق يشد بعضها بعضاً "، وحسن إسناد القصة أيضاً الشيخ الألباني كما في السلسة الصحيحة (١٠١/٣).

(٥) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/١)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص٢٢١-٢٢٢).

٦-قصة أبي مسلم الخولاني؛ أحد سادات التابعين وعبَّادهم، حينما أُلقي في النار من قبل الأسود العنسي؛ أحد أدعياء النبوة في اليمن[١]، فكانت برداً وسلاماً عليه[٢]، وكراماته كما ذكرها المؤرخون عديدة[٣].

ثم ليعلم أنه لا يجوز إنكار الكرامات، وإنكارها مخالف لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه سلف الأمة من اعتقاد، وقد أنكرها أكثر المعتزلة، وأبي إسحاق الإسفراييني والحليمي من الأشاعرة، وأبي محمد بن حزم أيضاً، خوفاً من اشتباه النبي بالولي، وخروجه عن كونه خارقاً.

ويعود سبب الإنكار زعمهم أنهم لو أثبتوها لشبهوها بالمعجزة، فاشتبه النبي بالولي، وخرج كونها خارقة للعادة، وأنَّ الدليل على صدق الرسل منحصر بالمعجزة فقط عندهم، فلا فرق إذاً بينهما، وأنَّ ذلك من العبث[٤].

قال القاضي عبد الجبار:" إنَّ العادة لا تخرق إلا عند إرسال الرسل، ولا تخرق لغير هذا الوجه، لأنَّ خرقها لغير هذا الوجه يكون بمنزلة العبث"[٥].

ويجاب عن ذلك كما ذكره أهل العلم بأنْ يقال للمنكرين:

١- إنَّ قولكم هذا بمنزلة إنكار المحسوسات، وهذا جنون ومحال.

٢- زعمكم هذا يصح إنْ كان الولي يأتي بالخارق فيدعي النبوة، وهذا لم ولن يقع، فلو ادعى النبوة لم يكن ولياً بل كان متنبئاً كذاباً.

٣- ثبوت الكرامات في الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة، وما شاع وذاع في واقع الأمة.

٤- أدلة صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام غير منحصرة في المعجزات فقط، فهناك أدلة كثيرة دالة على صدق ونبوة الرسل[١]، وقد تقدم ذكرها في الفصل السابق.

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣١١/٦).

(٢) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (١٢٨/٢-١٢٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧٩/١١)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٤٩/٨).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/٤-١٤).

(٤) انظر: المغني للقاضي عبد الجبار (١٥/٢٠٥،٢٢٥،٢٤١،٢٤٢،١٨٩)، والفصل لابن حزم (٢/٥-٣)، والنبوات لابن تيمية (١٤٧/١-١٤٩)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٥٢/٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٥٣/١٧)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣١٥/٢-٣١٩)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٤/٢)، ورسالة التوحيد لمحمد عبده (ص١٥٩)، وأفعال الرسول ﷺ لمحمد الأشقر (٢٥٣/١)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٣٠٠/٢)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص٦٥٠)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٠-١٢١).

(٥) المغني (١٨٩/١٥).

قال السفاريني رحمه الله:

ومن نفاها من ذوي الضلال فقـــد أتـــى في ذاك بالمحال

فإنهـــــا شهيرة ولم تزل في كل عصر يا شقا أهل الزلل[٢]

وقال البغدادي رحمه الله:" أنكرت القدرية كرامات الأولياء؛ لأنهم لم يجدوا في أهل بدعتهم ذا كرامة، فأنكروا ما حُرِمُوه بشؤم بدعتهم، وظنوا أنَّ إجازة ظهور الكرامة للأولياء يقدح في دلالة المعجزة على النبوة، وقلنا لهم ليست دلالة المعجزة مقصورة على النبوة، وإنما هي دلالة الصدق، فتارة تدل على الصدق في النبوة، وتارة تدل على الإخلاص والصدق في الحال، وعلى أنه لا رياء فيها"[٣].

وقال السبكي رحمه الله:" فنقول: الدليل على ثبوت الكرامات وجوه:

أحدها: وهو أوحدها: ما شاع وذاع، بحيث لا ينكره إلا جاهل معاند من أنواع الكرامات للعلماء والصالحين، الجاري مجرى شجاعة علي، وسخاء حاتم؛ بل إنكار الكرامات أعظم مباهتة؛ فإنه أشهر وأظهر، ولا يعاند فيه إلا من طمس قلبه والعياذ بالله"[٤].

فثبوت وقوع الكرامات وظهورها والإيمان بذلك هو معتقد أهل السنة، وقد ثبت ذلك كما تقدم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار سلف الأمة، والواقع يشهد بذلك، وإنكار ذلك عدم إدراك وعناد، وهنا أشير لأمر هام، وهو: أنه لا ينبغي التصديق بكل ما يروى من الكرامات، فقد دخل الكذب والاختلاق والغلو والهوى والجهل على بعض المتصوفة وغيرهم، حتى تخيل البعض ما ليس بكرامة من الأحوال الشيطانية كرامة، واختلق من كان دافعه تعظيم شخص أو طائفة أو دجل وشعوذة وسحر من الوقائع والكذب العجب العجاب، فلذا لا بد على المسلم من أخذ الحيطة في ذلك تصديقاً ورواية[٥].

---

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص١٧٥)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٥٢/٢)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٠-١٢١)، والرسل والرسالات للأشقر (ص١٥٤-١٥٥).

(٢) لوامع الأنوار (٣٩٢/٢).

(٣) أصول الدين (ص١٧٥).

(٤) طبقات الشافعية (٣٣٤/٢).

(٥) انظر: كرامات أولياء الله عز وجل للالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان (٢٢/٩-٢٣)، والإرشاد للفوزان (ص١٩٣-١٩٤)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢٩٨/٢)، والرسل والرسالات للأشقر (ص١٦٠).

المطلب الثالث: ضوابط وشروط حصول الكرامة.

ذكرنا في المطلب السابق أنَّ معتقد أهل السنة هو الإيمان بالكرامات عقلاً ووقوعاً، وثبوت ذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار سلف الأمة والواقع المشاهد المحسوس والملموس، كما ذكرنا أنه ينبغي أخذ الحيطة فيما يروى ويذكر من ذلك، فليس كل ما يقال ويروى صدقاً، فقد يكون دجلاً وكذباً وشعوذة وأحوالاً شيطانية وغواية وإضلالاً، فلذا لا بد أن يعلم أنَّ للكرامة ضوابط وشروطاً لا بد أنْ تتحقق، كي يتم التمييز بينها وبين غيرها، ومن أهم تلك الضوابط والشروط:

١-أنْ يكون الولي صاحب الكرامة مؤمناً بالله تعالى تقياً، صحيح الاعتقاد متبعاً لمنهج النبي ﷺ وأقواله وأفعاله، وهذا الوصف للولي ذكره الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز[١]، حيث يقول سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"اتفق أولياء الله، على أنَّ الرجل، لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يغتر به، حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه"[٣].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله:" كل من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً"[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:"ليست الولاية بالدعوى والتمني، الولاية إنما هي بالإيمان والتقوى، فلو رأينا رجلاً يقول: إنه ولي! ولكنه غير متق لله تعالى؛ فقوله مردود عليه"[٥].

٢-أنْ لا يدعي من وقعت له الكرامة الولاية.

فالولاية هي درجة من الدرجات المتعلقة بفعل الله تبارك وتعالى وفعل العبد، والله عز وجل يرفع لدرجة الولاية؛ المؤمن المقبل عليه، الممتثل لأوامره، والمجتنب لنواهيه، المتقرب له عز وجل بالنوافل والطاعات، والذي يرجو أنْ يتقبل الله منه طاعته، فلو

---

(١) انظر: كرامات أولياء الله عز وجل للالكائي (ص٣٤)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٧/٢)، وتيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (ص٣٤٦)، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان (ص٧٤٠)، وولاية الله تعالى لأبي بكر الجزائري (ص١-٢).

(٢) سورة يونس، الآيات ٦٢-٦٤.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٠٥).

(٤) بهجة قلوب الأبرار (ص١٥٩).

(٥) شرح العقيدة الواسطية (ص٢٩٧).

ادعاها فقد زكى نفسه، وادعى ما كان من أمور الغيب مخفية، وقد أمر الله تبارك وتعالى بالإخلاص والاستقامة والتقوى وتنقية النفوس وإصلاحها، وعدم الرياء والسمعة وإطراء النفوس وتزكيتها وتعاظمها[١]، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"قال أبو علي الجوزجاني:(كنْ طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة؛ فإنَّ نفسك منجلية على طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة) ... وهذا الذي ذكره أصل عظيم كبير في الباب، وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب"[٣].

٣–أنْ لا تكون الكرامة مخالفة لأي أمر من أمور الدين[٤].

٤–أنْ لا تكون الكرامة سبباً في ترك أي واجب من الواجبات والفرائض[٥].

إنَّ مخالفة الخوارق للشريعة وأمور الدين وترك الواجبات والفرائض التي افترضها الله تبارك وتعالى على عباده؛ لهو أكبر دليل على بطلانها في نفسها[٦]، لذا نجد العلماء ذكروا من شروط وضوابط الكرامة عدم مخالفتها لأمر من أمور الدين، وأنْ لا تكون سبباً في ترك فرض أو واجب.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:"ومن هنا يعلم أنَّ كل خارقة حدثت أو تحدث إلى يوم القيامة، فلا يصح ردها ولا قبولها إلا بعد عرضها على أحكام الشريعة، فإنْ ساغت هناك فهي صحيحة مقبولة في موضعها، وإلا لم تقبل، إلا الخوارق الصادرة على أيدي الأنبياء عليهم السلام؛ فإنه لا نظر فيها لأحد؛ لأنها واقعة على الصحة قطعاً، فلا يمكن فيها غير ذلك"[٧].

ولقد فطن سلف الأمة –رحمهم الله– لذلك، وعرفوا مداخل الشيطان في مثل هذه الأمور، ونصوا على ترك اعتبار الخوارق إلا مع موافقة ظاهر الشريعة، وأنَّ الشريعة هي الحاكمة لا محكوم عليها.

---

(١) انظر: كرامات أولياء الله عز وجل للالكائي (ص٣٤)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص٢٥٥)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص٦٥٠).

(٢) سورة النجم، الآية ٣٢.

(٣) مجموع الفتاوى (٣٢٠/١١).

(٤) انظر: كرامات أولياء الله عز وجل للالكائي (ص٣٦)، والرسل والرسالات للأشقر (ص١٦٠).

(٥) انظر: كرامات أولياء الله عز وجل للالكائي (ص٣٦)، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان (ص٧٤٣).

(٦) انظر: الموافقات للشاطبي (٢٠٩/٢).

(٧) الموافقات (٢١٢/٢).

ويذكر الإمام الشاطبي –رحمه الله– في هذا الأمر: أنَّ القاضي عياض –رحمه الله– حكى عن فقيه المغرب أبي ميسرة المالكي القيرواني رحمه الله: أنه كان ليلة بمحرابه يصلي ويدعو ويتضرع لله تبارك وتعالى، وقد وجد رقة؛ فإذا بالمحراب قد انشق، وخرج منه نور عظيم، ثم بدا له وجه كالقمر، وقال له:" تملأ من وجهي يا أبا ميسرة، فأنا ربك الأعلى ". فبصق فيه وقال له:" اذهب يا لعين عليك لعنة الله"(١).

كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الشاطبي رحمهما الله: أنه يحكى عن الشيخ عبد القادر الجيلاني الحنبلي رحمه الله: أنه حدث له ما يشبه ما حدث لأبي ميسرة، حيث كان ذات مرة يتعبد الله؛ فرأى عرشاً عظيماً، وعليه نور، فقال له صاحب العرش:" يا عبد القادر! أنا ربك، وقد حللت لك ما حرمت على غيرك. فقال له عبد القادر:" أنت الله الذي لا إله إلا هو؟ اخسأ يا عدو الله"، قال: فتمزق ذلك النور، وصار ظلمة، فقال له:" يا عبد القادر نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك وبمنازلاتك في أحوالك، لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلاً، فقيل لعبد القادر: كيف علمت أنه شيطان؟ فقال: بقوله لي:" حللت لك ما حرمت على غيرك"، وقد علمت أنَّ شريعة محمد ﷺ لا تنسخ ولا تتبدل. ولأنه قال: أنا ربك. ولم يقدر أنْ يقول: أنا الله الذي لا إله إلا أنا"(٢).

قال ابن تيمية:" فمن كان متبعاً للأنبياء نصره الله سبحانه بما نصر به الأنبياء، وأما من ابتدع ديناً لم يشرعوه، فترك ما أمروا به من عبادة الله وحده لا شريك له، واتباع نبيه فيما شرع لأمته، وابتدع الغلو في الأنبياء والصالحين والشرك بهم؛ فإنَّ هذا يتلاعب به الشياطين"(٣).

المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والافتراق بين المعجزة والكرامة.

المتأمل في المعجزات والكرامات التي جرت ووقعت لأنبياء الله وأوليائه الصالحين، وما ذكره أهل العلم – رحمهم الله – في تضاعيف كتبهم يجد أنَّ هناك أوجه اتفاق وافتراق عديدة بينهما، ولعلنا من خلال هذا المبحث نبين تلك الأوجه، وذلك كما يلي:

١–اتفقت المعجزة والكرامة من ناحية أنهما جميعاً من عند الله تبارك وتعالى، وهبها وأعطاها لأنبيائه وأوليائه، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ

(١) انظر: الموافقات (٢٠٩/٢)، وكرامات أولياء الله عز وجل للالكائي (ص٣٨).

(٢) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية (ص٤٢–٤٣)، والموافقات للشاطبي (٢٠٩/٢–٢١٠)، وكرامات أولياء الله عز وجل للالكائي (ص٣٨).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية (ص٤٢).

عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى:﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[2].

٢-اتفقت المعجزة مع الكرامة من حيث إنَّ كل منهما خارق وناقض للعادة[3]، قال البغدادي رحمه الله:" اعلم أنَّ المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادات"[4].

٣-تطلق المعجزة على ما يقع على يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من خوارق العادات، وتطلق الكرامة على ما يقع على يد الأولياء الصالحين من خوارق العادات، وهذا ما استقر عليه كثير من المتأخرين من أهل العلم رحمهم الله[5]، فالنبوة هي أصل المعجزة، وهي دليل من أدلة النبوة الصادقة، والولاية أصل الكرامة، وهي دليل على صدق الشاهد بالنبوة الصادقة[6].

وقد يسمي بعض أهل العلم خوارق الأولياء معجزات وآيات كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض السلف ذلك؛ كالإمام أحمد وغيره، وذلك لدلالتها على نبوة من اتبعه الولي؛ وهو النبي، حيث إنَّ الدليل مستلزم للمدلول، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول.

قال ابن تيمية رحمه الله:" السلف؛ كأحمد وغيره ،كانوا يسمون هذا وهذا معجزاً، ويقولون لخوارق الأولياء إنها معجزات؛ إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك، بخلاف ما كان آية وبرهانا على نبوة النبي، فإنَّ هذا يجب اختصاصه، وقد يسمون الكرامات آيات؛ لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي، فإنَّ الدليل مستلزم

(١) سورة العنكبوت، الآيات ٥٠-٥١.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣٧.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٧٤٦).

(٤) أصول الدين للبغدادي (ص١٧٤)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/٢٩٠-٢٩١)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٠).

(٥) انظر: أعلام النبوة للماوردي (ص٢٥)، وأصول الدين للبغدادي (ص١٧٤)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/٤١٩)، والنبوات لابن تيمية (١/٩٨٦،١٦١،١٥١،١٤٧-٩٨٧)، وقاعدة في المعجزات والكرامات لابن تيمية (ص١٩)، والبداية والنهاية لابن كثير (٦/١٦٣)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٧٤٦)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/٢٩٠-٢٩١)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/٣٠٠-٣٠٢)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٠-١٢١).

(٦) انظر: النبوات لابن تيمية (١/٤٩).

للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول، فكذلك ما كان آية وبرهاناً وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع أنْ يكون لغير النبي"[١].

٤- كرامات الأولياء التي تقع لهم، هي من جملة آيات ومعجزات الأنبياء عليهم السلام، كما يذكر بعض أهل العلم رحمهم الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"ما يظهر على المؤمنين بهم من الآيات؛ بسبب الإيمان بهم: فيه قولان: قال طائفة: ليس ذلك من آياتهم. وهذا قول من يقول: من شرط المعجزة أنْ يقارن دعوى النبوة، لا يتقدّم عليها، ولا يتأخّر عنها... والقول الثاني: وهو القول الصحيح: أنَّ آيات الأولياء هي من جملة آيات الأنبياء؛ فإنّها مستلزمة لنبوّتهم، ولصدق الخبر بنبوّتهم؛ فإنه لولا ذلك، لما كان هؤلاء أولياء، ولم يكن لهم كرامات. لكن يحتاج أنْ يفرق بين كرامات الأولياء، وبين خوارق السحرة والكهّان، وما يكون للكفّار والفسّاق وأهل الضلال والغي بإعانة الشياطين لهم؛ كما يُفرّق بين ذلك وبين آيات الأنبياء"[٢].

وقال ابن تيمية أيضاً:" وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ"[٣].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:" ذكر غير واحد من العلماء، أنَّ كرامات الأولياء معجزات للأنبياء؛ لأن الولي إنما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه، وثواب إيمانه"[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" قال العلماء: كل كرامة لولي؛ فهي آية للنبي الذي اتبعه؛ لأنَّ الكرامة شهادة من الله عز وجل؛ أنَّ طريق هذا الولي طريق صحيح. وعلى هذا ما جرى من الكرامات للأولياء من هذه الأمة، فإنها آيات لرسول الله ﷺ"[٥].

٥- إنَّ لوقوع المعجزات على يدي الأنبياء عليهم السلام حكم جمة تم ذكرها سابقاً، وكذلك لوقوع الكرامات حكم كثيرة أيضاً، فقد يعطي الله الكرامة لعبد إكراماً له؛ لصلاحه وقوة إيمانه، وقد يكون لسد حاجة؛ كالطعام والشراب والأمن، وقد يكون

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤١٩/٥).

(٢) النبوات (٩٨٦/٢-٩٨٧).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٢٠٦).

(٤) البداية والنهاية (٢٨٩/٦).

(٥) شرح العقيدة الواسطية (٣٠٠/٢).

تثبيتاً وإعانة ونصرة للدين والحق، وإبطال الباطل، وقد تقع لتقوية وزيادة إيمانه[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وخيار أولياء الله: كراماتهم لحجة في الدين، أو لحاجة بالمسلمين، كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك"[٢].

وقال أيضاً:" ومما ينبغي أنْ يعرف أنَّ الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان، أو المحتاج، أتاه منها ما يقوي إيمانه، ويسد حاجته، ويكون مَنْ هو أكملُ ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته، وغناه عنها، لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة"[٣].

وقال تاج الدين السبكي رحمه الله:" فإنْ قلت: ما بال الكرامات في زمن الصحابة وإنْ كثرت في نفسها قليلة بالنسبة إلى ما يروى من الكرامات الكائنة بعدهم على يد الأولياء؟ فالجواب أولاً: ما أجاب به الإمام الجليل أحمد بن حنبل ﷺحيث سئل عن ذلك فقال: أولئك كان إيمانهم قوياً، فما احتاجوا إلى زيادة يقوى بها إيمانهم، وغيرهم ضعيف الإيمان في عصره؛ فاحتيج إلى تقويته بإظهار الكرامة"[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" الكرامات؛ قلنا: إنها تكون تأييداً، أو تثبيتاً، أو إعانة للشخص، أو نصراً للحق، ولهذا كانت الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة؛ لأنَّ الصحابة عندهم من التثبيت والتأييد والنصر ما يستغنون به عن الكرامات؛ فإن الرسول كان بين أظهرهم، وأما التابعون فإنهم دون ذلك، ولذلك كثرت الكرامات في زمنهم، تأييداً لهم، ونصراً للحق الذي هم عليه "[٥].

٦- الكرامات لا تقع للولي بقصد منه، بل تقع بدون قصد، وما يقع منها يقع ولا يعلم المؤمن به إلا بعد وقوعه، ولا يتوصل إليها الولي بأنواع من الرياضات أو تأدية العبادات من أجل الحصول على الكرامات، فالمؤمن يطلب الاستقامة لا يبحث عن الولاية ووقوع الكرامة، وقد يدعو الله لحصول كرامة لمعنى شرعي لا لحظ

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/٣٠٢-٣٠٣)، والرسل والرسالات للأشقر (ص١٥٩،١٥٥).

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٢٠٦).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٢٣٠).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٢/٣٣٣).

(٥) شرح العقيدة الواسطية (٢/٣٠٢-٣٠٣).

نفسه، بخلاف المعجزات التي يجريها الله على يد أنبيائه فقد تكون بطلب منه من الله عز وجل، وقد يطلعه الله على زمن وقوعها، ويظهرها للعيان، وقد يتحدى بها أحياناً[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" قال أبو علي الجوزجاني:(كنْ طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة؛ فإنَّ نفسك منجلية على طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة) ... وهذا الذي ذكره أصل عظيم كبير في الباب، وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب"[٢].

٧- الكرامة أخف قدراً من المعجزة؛ حيث إنَّ الأنبياء ومعجزاتهم أعظم درجة من الأولياء والصالحين وكراماتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" الأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحدٍ قطّ إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم، ولكن قد يُشاركونهم في بعضها، كما قد يُشاركونهم في بعض أعمالهم"[٣].

وقال ابن تيمية أيضاً:" إنَّ كرامات الأولياء معتادةٌ من الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك؛ فانشقاق القمر، والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حيّة، وخروج الدابة من صخرة، لم يكن مثله للأولياء؛ وكذلك خلق الطير من الطين، ولكنّ آياتهم صغارٌ، وكبارٌ؛ كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[٤]... فالآيات الكبرى مختصة بهم. وأما الآيات الصغرى: فقد تكون للصالحين؛ مثل تكثير الطعام، فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين، لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ أنّه أطعم الجيش من شيء يسير[٥]. فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم، لكن لا يماثلون في قدره؛ فهم مختصون إمّا بجنس الآيات فلا يكون لمثلهم؛ كالإتيان بالقرآن، وانشقاق القمر ... وإمّا بقدرها، وكيفيتها؛ كنار الخليل؛ فإنَّ أبا مسلم الخولاني، وغيره صارت النار عليهم برداً وسلاماً[٦]، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشاركٌ للخليل في جنس الآية؛

(١) انظر: أفعال الرسول ﷺ للأشقر (٢/٢٥٨-٢٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٣٢٠).

(٣) النبوات (١/١٦٢).

(٤) سورة النازعات، الآية ٢٠.

(٥) سبق تخريجه

(٦) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/١٢٨-١٢٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٢٧٩)، والبداية والنهاية لابن كثير (٨/١٤٩).

كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده. ومعلومٌ أنَّ الذي امتاز به الخليل من هذا، لا يماثله فيه أبو مسلم، وأمثاله"[١].

٨- المعجزة مأمونة العاقبة بخلاف الكرامة، فكرامات الصالحين تدل على صدقهم وتقواهم وصحة دينهم وإيمانهم، ولا تدل على أنَّ الولي معصوم لا يقع في الخطأ والزلل، ولا على أنه يجب أنْ يطاع ويتبع في كل ما يقوله ويفعله، فإنه لا تؤمن عليه الفتنة، فقد يبدل الله حاله من حال إلى حال، فالنبي وجب قبول كل ما يقوله ويفعله؛ لكونه نبياً معصوماً يجب اتباعه، دلت المعجزات على صدقه وصحة ما جاء به[٢].

قال البغدادي رحمه الله:"إنَّ صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم عن الكفر والمعصية بعد ظهورها عليه، وصاحب الكرامة لا يؤمن بتبدل حاله فإنَّ بلعم بن باعوراء أوتي من هذا الباب ما لم يؤت غيره ثم ختم له بالشقاء"[٣].

وبلعم بن باعوراء أحد بني إسرائيل منَّ الله عليه بآيات، فاغتر بها والعياذ بالله، وسيأتي الحديث عنه، حين الحديث عن الاستدراج، وهو المقصود كما ذكر أهل العلم[٤] بقوله تعالى:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾[٥].

٩- المعجزة تنال بالنبوة، والكرامة تنال بالتقوى والاستقامة وآداء الفرائض، والإكثار من النوافل والطاعات والأعمال الصالحات، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[٦]، فالأولياء يعرفون بنور الإيمان والقرآن والمتابعة لسيد الأنام،

---

(١) النبوات (٩٦٢/٢).

(٢) انظر: النبوات لابن تيمية (١٦٢/١-١٦٣)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص٢٥٥)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣١٨/٢)، وكشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوي (٧٣٢/١)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٢/٢)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٢)، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان (ص٧١٧).

(٣) أصول الدين (ص١٧٥).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٤٧/٢)، وتفسير ابن كثير (٢٧٥/٢).

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٧٥.

(٦) سورة يونس، الآيات ٦٢-٦٤.

وبحقائق الإيمان الباطنة، وشرائع الإسلام الظاهرة، وهذا لا يعني أنهم معصومون كما تقدم، فقد يقع منهم التقصير والخطأ[١].

والولي كما يذكر الإمام السفاريني – رحمه الله – عن بعض المحققين من أهل العلم أنه لا بد أن تتوفر فيه شروط عدة، أولها: معرفته بأصول الدين، حتى يفرق بين الخلق والخالق، والنبي والمتنبئ الكاذب، وثانيها: أن يكون عارفاً بأحكام الشريعة، وثالثها: تخلقه بجميل الخلال والخصال والأخلاق، والامتثال للمأمورات، واجتناب المحرمات، والتورع عن المكروهات، وإخلاص العمل، وحسن المتابعة والاقتداء، ورابعها: التزام الخوف من الله وتقواه، ومراقبته في السر والعلن، والنظر للخلق بعين الرحمة والنصيحة، ومطالعة عيوب النفس وآفاتها[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ فيفعلون ما أمر، وينتهون عما نهى عنه وزجر، ويقتدون به فيما بيِّن لهم أنْ يتبعوه فيه، فيؤيدهم الله بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين"[٣].

١٠-إنَّ صاحب المعجزة قد يظهرها ويتحدى بها، إذ أنها دليل من أدلة صدقه فيما يدعيه ويقوله، وصاحب الكرامة يخفيها في الغالب، وقد تظهر عند الحاجة لذلك تشريفاً وتأييداً ونصراً من الله تبارك وتعالى، كما في قصة عمر ﷺ "يا سارية الجبل"[٤]، وقصة خالد بن الوليد ﷺ حينما شرب السم عند فتح الحيرة ظهرت كي يبين أنْ دين الإسلام حق وذلك بعد تسميته باسم الله[٥]، وكرامة العلاء الحضرمي سالفة الذكر.

وضعّف بعض أهل العلم؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وغيره قول بعض المتكلمين بأنَّ الكرامة يخفيها صاحبها دوماً، ولا تظهر على الإطلاق، ولا يتحدى بها بعكس المعجزة، حيث إنَّ الفرق عندهم بين المعجزة والكرامة مقتصر على اقتران

---

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٠٥، ٢٣٦، ٢٥٨)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٣/٢)، والكواشف الجلية في معاني الواسطية (ص٧٤٠)، وولاية الله تعالى لأبي بكر الجزائري (ص١-٢)، والإرشاد للفوزان (ص١٩٣).

(٢) انظر: لوامع الأنوار (٣٩٧/٢).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٢٠٦).

(٤) تقدم تخريجها.

(٥) القصة ذكرها: الطبراني في المعجم الكبير (١٢٣/٤-١٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٠/٩)، وابن تيمية في النبوات (١٥٩/١-١٦٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣٥١/٦)، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٣٣٣/٢)، والسفاريني في لوامع الأنوار (٣٩٣/٢).

دعوى النبوة والإظهار في الاستدلا والتحدي فقط!؛ وذلك لما سبق ذكره من ثبـــوت أنَّ الكرامة قد يظهرها الله ويتحدى بها عند الحاجة(١).

المبحث الثاني: الفرق بين المعجزة والسحر

المطلب الأول : تعريف السحر.

السحر في اللغة: مفرد أسحار وسُحُور، وهو: كل ما لطف مأخذه ودق وخفي سببه، ومنه سمي السَحر سحراً؛ لأنه يقع خفياً آخر الليل(٢).

وهو يشمل في اللغة البيان في فطنة وفصاحة(٣)، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ:"إنَّ من البيان لسحراً"(٤).

كما يشمل النميمة لما فيها من خداع وتلطف وخفاء أمر النمام، ليتم له ما يريد من الوقيعة، كما يشمل تلك الظواهر من الخفة التي يعملها صاحبها أمام المسحور، فيخيل إليه أنَّ لها واقعاً وحقيقة، وليس الأمر كذلك، ويشمل العزائم والعقد التي يعقدها الساحر وينفث فيها مستعيناً بالجن والشياطين(٥).

والسحر فن من الفنون له أصوله وقواعده، يتطلب مادة وخبرة لدى من يمارسه ويطبقه، أساسه التقرب إلى الشياطين، وطلب العون منهم والعياذ بالله(٦)، وسمي سحراً؛ لأنه يحصل بأمور خفية لا تدرك بالأبصار(٧).

والسحر في الاصطلاح كما يعرفه أهل العلم بأنه: عزائم ورقى وعقد، وكلام يتكلم به، أو يكتب، أو يعمل، يؤثر في القلوب والأبدان؛ فيمرِض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه(٨).

---

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص١٧٤)، والنبوات لابن تيمية (١/١٥٧-١٦٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٩٠)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/٣١٨)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي (٢/٤٥)، ولسان العرب لابن منظور (٤/٣٤٨).

(٣) انظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي (٢/٤٥)، ولسان العرب لابن منظور (٤/٣٤٨)، والمعجم الوسيط (١/٤٣٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إنَّ من البيان سحراً (٧/١٧٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٦/١٥٨).

(٥) انظر مذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي (ص٦١)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٣).

(٦) انظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/٧٥)، والحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين للطيار والمبارك (ص١٧٠).

(٧) انظر: الإرشاد للفوزان (ص٨٤).

(٨) انظر: الكافي لابن قدامة (٥/٣٣١)، وفتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن (ص٣٣٥)، والإرشاد للفوزان (ص٨٤)، والمفيد في مهمات التوحيد لعبد القادر عطا (ص٢٥٥).

وقيل هو: مزاولة النفوس الخبيثة، لأفعال وأقوال، يترتب عليها أمور خارقة للعادة[1].

وقيل هو: أمر غريب يشبه الخارق، إذ يجري فيه التعلم، ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان، بارتكاب القبائح قولاً؛ كالرقى التي فيها ألفاظ الشرك، ومدح الشيطان، وتسخيره، وعملاً؛ كعبادة الكواكب، والتزام الجنابة، وسائر الفسوق، واعتقاداً؛ كاستحسان ما يوجب التقرب إليه، ومحبته إياه[2].

المطلب الثاني : وقوع السحر.

السحر جائز الوقوع عقلاً وشرعاً، والمتأمل لأنواعه وأشكاله وصوره يجد أنها لا تخرج عن دائرة قدرة الإنس والجن، وهي معتادة للسحرة والكهان، خارقة بالنسبة لغيرهم، وقد دل الكتاب العزيز والسنة النبوية على وقوعه[3]، ومما جاء في ذلك:

قال تعالى في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وسحرته:﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[4].

وقال تعالى عن سليمان عليه السلام وهاروت وماروت:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾[5].

---

(١) انظر: مغني المحتاج للشربيني (١٢٠/٤).

(٢) انظر: روح المعاني للآلوسي (٣٣٧/١).

(٣) انظر: النبوات لابن تيمية (١٨٨/١)، ومغني المحتاج للشربيني (١٢٠/٤)، والإرشاد للفوزان (ص١٥٩)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٣).

(٤) سورة طه، الآيات ٦٣-٧٠.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٠٢.

وما جاء في سحر النبي ﷺ من قبل لبيد بن الأعصم اليهودي، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت:" سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة، وهو عندي لكنه دعا ودعا، ثم قال: يا عائشة أشعرت أنَّ الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل، فقال: مطبوب، قال: من طبه، قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء، قال: في مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذكر، قال: وأين هو، قال: في بئر ذروان، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته، قال قد عافاني الله فكرهت أنْ أثور على الناس فيه شراً، فأمر بها فدفنت"(١).

والسحر من ناحية وقوعه عند أهل السنة ينقسم إلى قسمين:

الأول: تخييل وإيهام، لا حقيقة له يرهب بظاهره، ويؤثر في القلوب؛ كسحر سحرة فرعون، كما قال تعالى في وصفه: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾(٢)، وهذا النوع أقر به المعتزلة، وأنكروا النوع الثاني، بناء على إنكارهم لجميع الخوارق سوى المعجزات.

الثاني: وقوعه حقيقة، فالساحر قد يأتي بفعل أو قول يتغير به حال المسحور، فيكون سبباً لمرض أو موت، أو تفريق بين زوجين، كما وقع للنبي ﷺ من سحر، وما وقع للنبي ﷺ كما يذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله– ليس فيه انتقاصاً وعيباً في حقه عليه الصلاة والسلام، فهو كالأمراض التي كانت تعتريه ﷺ، وكإصابته بالسم، لا يؤثر فيما أتاه الله من وحي وتشريع، ولا يقدح في نبوته، لقيام الدليل والإجماع على عصمته ﷺ في ذلك(٣)، وهذا النوع أنكره المعتزلة ومن نحا نحوهم كما تقدم(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب السحر (٧/ ١٧٦-١٧٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب السحر (١٤/١٧٤-١٧٨).

(٢) سورة طه، الآيات ٦٦-٦٧.

(٣) انظر: زاد المعاد (٤/١٢٤).

(٤) انظر: المغني للقاضي عبد الجبار (١٥/١٨٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٩٠-٩١)، والنبوات لابن تيمية (٢/٥٨٥)، ومغني المحتاج للشربيني (٤/١٢٠)، وروح المعاني للآلوسي (١/٣٣٧-٣٣٨)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/١٧٤)، والمفيد في مهمات التوحيد لعبد القادر عطا (ص٢٥٦)، ومعجم ألفاظ العقيدة للفالح (ص٢١٥).

المطلب الثالث : أوجه الاتفاق والافتراق بين المعجزة والسحر.

الناظر فيما يأتي به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من آيات ومعجزات، وما يقوم به السحرة والكهان من خوارق يجد البون والفرق شاسعاً بين ما يأتي به الأنبياء وبين ما يأتي به السحرة والكهان؛ ولعلنا من خلال ما سيأتي ذكره في هذا المطلب يظهر لنا بعض تلك الفروق، وهي حسب تعبير شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – تكاد لا تحصى[1]، وذلك من كثرتها، ومن تلك الفروق التي ذكرها أهل العلم في بطون وتضاعيف كتبهم ما يلي:

١- إنَّ المعجزات هي خارقة للعادات كما تقدم، أما ما يأتي به السحرة والكهانة هي أمور معتادة معروفة لأصحابها من أهل الاختصاص ليست خارقة لعاداتهم، وهي خارقة غير معتادة بالنسبة لغيرهم، وهي لا تخرج عن كونها مقدورة للإنس والجن، وآيات الأنبياء ومعجزاتهم لا يقدر عليها لا الإنس ولا الجن؛ كانشقاق القمر، وقلب العصا حية حقيقة مبهرة[2]، وكما قال الله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[3].

٢- المعجزات ليست من عمل النبي وكسبه، إنما هي خلق محض من الله تبارك وتعالى يجريها الله على أيدي أنبيائه ورسله، كما قال تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[4]، أما السحر وأعمال الشعوذة وخوارقها، فهي من عمل الساحر وكسبه، وإعانة من الجن والشياطين، سواء كان تعويذات أو أعمال أو غيرها، وله أسبابه ووسائله التي قد تنتهي بمن عرفها ومهر وبرع فيها واستعملها إلى مسبباتها ونتائجها[5].

قال الزرقاني رحمه الله:" المعجزة نفحة من نفحات الحق، تخرج عن أفق الأسباب المعتادة، والوسائل المشاهدة، والغايات المألوفة. أما السحر وما أشبهه، فإنها فنون

---

(١) النبوات (٦٧١/٢).

(٢) انظر: النبوات لابن تيمية (١٨٨/١)،(٦٧١/٢،٩٩٠-٩٩٢)، وكشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوي (٧٣١/١)، (١٥٧٦/٢)، وروح المعاني للآلوسي (٣٣٧/١)، ومناهل العرفان للزرقاني (٧٥/١)، والإرشاد للفوزان (ص١٥٩).

(٣) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٥٠.

(٥) انظر: النبوات لابن تيمية (٦٧١/٢-٦٧٢)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمن (ص٣٠٠)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص٦٥٠)، والإرشاد للفوزان (ص١٥٩)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٤)، ومذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي (ص٦١)، والكواشف الجلية في معاني الواسطية للسلمان (ص٧٤٣).

خبيثة، ذات قواعد وأوضاع يعرفها كل من ألمَّ بها، ويصل إلى وسائلها وغاياتها كل من عالجها من بابها. ولهذا كان أول من آمن بموسى هم السحرة أنفسهم؛ لأنهم أعلم بهذا الفرق الواضح، والبون الشاسع"[١].

٣- إنَّ آيات الأنبياء ونبوتهم لو قُدر أنها تنال بالكسب والعمل؛ فإنما تنال بالطاعة والقربات، والأعمال الصالحات، والصدق والعدل والتوحيد، ولا يعتقد عاقل أنها تحصل مع الكذب على من دون الله؛ فضلاً عن أنْ تحصل مع الكذب على الله، أما السحر وخوارقه فبالكذب والظلم والغش والشرك يحصل ويكون[٢].

٤- إنَّ جنس آيات الأنبياء ومعجزاتهم خارجة عن مقدور البشر، ومقدور جنس الحيوان، وأما خوارق السحرة والكهان فهي من جنس أفعال الجن والإنس والحيوان، مثل قتل الساحر وتمريضه لغيره وتفريقه بين الزوجين، فهذه أمور مقدورة معروفة بين المشتغلين بالسحر والعارفين به[٣]، وليس كما يقوله بعض العلماء والمتكلمين؛ كالباقلاني والجويني والقاضي أبي يعلى وغيرهم من أنَّ جنس آيات الأنبياء وما يأتي به السحرة واحد، والفرق هو التحدي به ودعوة النبوة فقط[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – معترضاً على هذا القول:" والتحقيق: أنّ آيات الأنبياء مستلزمة للنبوّة، ولصدق الخبر بالنبوّة، فلا يوجد إلا مع الشهادة للرسول بأنّه رسول، لا يوجد مع التكذيب بذلك، ولا مع عدم ذلك البتة، وليست من جنس ما يقدر عليه؛ لا الإنس، ولا الجنّ؛ فإنَّ ما يقدر عليه الإنس والجنّ يفعلونه، فلا يكون مختصاً بالأنبياء ... وما يأتي به السحرة والكهان، يمتنع أنْ يكون آيةً لنبيّ، بل هو آية على الكفر، فكيف يكون آية للنبوّة، وهو مقدور للشياطين؟. وآيات الأنبياء لا يقدر عليها جن ولا إنس، وآيات الأنبياء آيات لجنسها، فحيث كانت آية لله، تدلّ على مثل ما أخبرت به الأنبياء، وإنْ شئتَ قلت: هي آيات لله، يُدلّ بها على صدق الأنبياء تارة،

(١) مناهل العرفان (٧٧/١).

(٢) انظر: النبوات لابن تيمية (٦٧٢/٢)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص٢٥٨)، والكواشف الجلية في معاني الواسطية للسلمان (ص٧٤٢) والإرشاد للفوزان (ص١٥٩).

(٣) انظر: النبوات لابن تيمية (١٦٤،٢٦٨/١)، (٩٩٠/٢).

(٤) انظر: البيان للباقلاني (ص٩١-٩٥)، والإرشاد للجويني (ص٣١٧-٣٢٨)، والفصل لابن حزم (٨/٥-٩)، والنبوات لابن تيمية (٩٥٦/٢-٩٦٠).

وعلى غير ذلك تارة. وما يكون للسحرة والكهان، لا يكون من آيات الأنبياء، بل آيات الأنبياء مختصة بهم"[١].

٥- إنَّ الأنبياء والرسل -عليهم السلام- الذين يجري الله على أيديهم الآيات والمعجزات لا يأمروا إلا بالعدل، ولا يفعلوا إلا العدل، ويدعون للتوحيد والإيمان بالله، وطلب الآخرة، وأعمال البر والتقوى، وغيرهم من السحرة والمشعوذين؛ لا بد لهم من الظلم والكذب، والعدوان على الخلق، والقول على الله بلا علم، وفعل المنكرات والفواحش، والشرك بالله تعالى[٢].

٦- إنَّ ما يأتي به السحرة والكهان من خوارق وأمور غير معتادة بالنسبة لغيرهم يمكن معارضته بمثله وأقوى منه، بينما ما يأتي به الأنبياء من آيات ومعجزات لا يمكن معارضته بمثلها أبداً، وكذلك القول فيما يجريه الله على أيدي أوليائه من كرامات فإنها لا تعارض من قبل السحرة والكهان بمثلها[٣].

٧- إنَّ من معجزات الله مما لا يقدر عليها مخلوق؛ لا الملائكة، ولا غيرهم؛ كإنزال القرآن، وتكليم موسى، وأعمال السحرة قد يقدر عليها الجن والشياطين[٤].

٨- إنَّ آيات الأنبياء ومعجزاتهم أساسها توحيد الله، والإيمان به، وذكره عز في علاه، وخوارق السحرة والكهان والمشعوذين تبطل وتضعف وتتلاشى مع ذكر الله وتوحيده وقراءه آياته[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها، مثل آية الكرسي"[٦].

٩- المعجزة يظهرها الله ويجريها على يد مدعي النبوة؛ لتكون آية كبرى على صدقه في رسالته ودعوته، التي بها هداية الناس من الظلمات إلى النور، والأخذ بأيديهم إلى ما ينفعهم في عقائدهم ومعاملاتهم وعباداتهم وأخلاقهم، وفي دنياهم وأخراهم، أما السحر فهو عمل وخلق ذميم وضيع، يموه ويخدع به الساحر الناس وضعاف

---

(١) النبوات (٢/٩٥٩-٩٦٠).

(٢) انظر: النبوات لابن تيمية (١/١٧٣)، (٢/٦٧١)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص٢٣٦)، والكواشف الجلية في معاني الواسطية للسلمان (ص٧٤١-٧٤٢).

(٣) انظر: النبوات لابن تيمية (٢/٦٧٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٩٠-٩١)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص٢٤٩)، والكواشف الجلية في معاني الواسطية للسلمان (ص٧٤١-٧٤٢).

(٤) انظر: النبوات لابن تيمية (٢/٦٧٣).

(٥) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٢٣٤ ، ٢٤٥-٢٤٦)، والإرشاد للفوزان (ص١٩٤).

(٦) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٢٣٤).

النفوس منهم، ويتخذه وسيلة لكسب المال والعيش، ويفرق به بين الأصدقاء والإخوة، وبين المرء وزوجه، فهو إفساد للأمة ومجتمعاتها وعقائدها وأخلاقها(١).

١٠-إنَّ من معجزات الله ما يجريه الله بواسطة ملائكته، والملائكة لا تكذب على الله، ولا تقول لبشر إنَّ الله تعالى أرسلك، ولم يرسله ويبعثه، والذي يفعل ذلك؛ أعني الكذب الشياطين في أعمالهم مع السحرة والكهان(٢).

١١-نهج وسيرة من ظهرت على يديه المعجزة حميدة، وعاقبته مأمونة، فهم عليهم السلام يهدون بأمر الله، ويقومون بفعل الخيرات والطاعات، واجتناب المنهيات والمنكرات، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾(٣)، بعكس السحرة فسيرتهم خبيثة، وطريقتهم مقيته، أسها استعانة وتقرب للشياطين، وأسلوبها كذب وظلم وخداع، ونتائجها تفرقة وفساد وإفساد(٤)، قال سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾(٥).

١٢-ما يظهره الله على أيدي أنبيائه من معجزات، فيها الخير والصلاح والفلاح، وتحقيق مصالح العباد، والإعانة على الطاعات، موافقة للعقول والفطر، وما جاء به الأنبياء، يصدقه صريح المعقول وصحيح المنقول، أما ما جاء به السحرة؛ فيه شر وكفر وفتن وإفساد، وبغي وظلم للعباد، وأخذ لحقوقهم، وتضييع لمصالحهم، والإعانة على المحرمات، مخالف للأدلة السمعية والعقلية والفطرية، وما اتفق عليه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام(٦).

١٣-من ظهرت على يديه المعجزة تعاونه وتساعده ملائكة الرحمن عليهم السلام، وأما الساحر فتعاونه الشياطين ويستعين بهم، بعد أنْ يؤدي لهم التعظيم والقربات والطاعات(٧).

---

(١) انظر: علم التوحيد للربيعة (ص١٢٨،١٢٥)، ومذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي (ص٦١-٦٢).

(٢) انظر: النبوات لابن تيمية (٦٧٣/٢)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص٢٥٦).

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

(٤) انظر: النبوات لابن تيمية (١٧٣/١)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٨،١٢٥)، ومذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي (ص٦٢).

(٥) سورة الشعراء، الآيات ٢٢١-٢٢٢.

(٦) انظر: النبوات لابن تيمية (١٨٥/١)، (٦٧٣/٢-٦٧٤)، والإرشاد للفوزان (ص١٥٩)، والكواشف الجلية في معاني الواسطية للسلمان (ص٧٤٣).

(٧) انظر: النبوات لابن تيمية (١٧٢/١)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص٢٣٩)، وروح المعاني للآلوسي (٣٣٧/١)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص٦٥١)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٥-١٢٦).

١٤-من ظهرت على يديه المعجزات، يأمر بجنس ما أمرت به الرسل، وله نظراء يعتبر بهم، وينهج نهجهم، وكذلك السحرة لهم نظراء من جنسهم، يعتبروا بهم، وينهجوا نهجهم، وفرق وبون شاسع بين النهجين؛ أعني منهج الأنبياء والرسل ومنهج السحرة والمشعوذين(١).

١٥-إنَّ معجزات الأنبياء عليهم السلام لا يقع فيها الغلط بحال من الأحوال، بخلاف أعمال غيرهم من السحرة والكهنة، وإنْ صدقوا أحياناً في بعض الأشياء، يكون بسبب ما يحصل عليها الكهان من استراق شياطينهم للسمع(٢).

١٦-الأنبياء الذين جرت على أيديهم المعجزات هم مؤمنون مسلمون موحدون، ويصدق بعضهم بعضاً، وأما السحرة والكهان فهم كذابون واقعون في الشرك مكذبين بما أنزل الله تبارك وتعالى قد تجدهم يحيكون المؤامرات والدسائس لبعضهم بعضاً(٣).

١٧-من ظهرت على يده المعجزة، يقود الأمة والمجتمع والشعوب إلى السعادة والوحدة والألفة، ويهديها طرق وسبل الخير، وعلى يديه يسود الأمن والسلم وعمارة الأرض، وأما الساحر فهو آفة للوحدة والألفة، وداعية الافتراق والفوضى، وتخريب البيوت والمجتمعات(٤).

المبحث الثالث: الفرق بين المعجزة والإرهاص

المطلب الأول: تعريف الإرهاص.

الإرهاص في اللغة من رهص رهصاً؛ أي أخذه أخذاً شديداً، ومنه رهص الحائط دعمه، ورهص الصيد أوهنه، ورهص الشيء أثبته وأسسه، والرِّهص بالكسر هو العرق أسفل الحائط، والرَّهص هو تأسيس البنيان، ومقدمة الشيء والإيذان به(٥).

والإرهاص في الاصطلاح هو: كل ما يصدر عن النبي ﷺ قبل النبوة من أمر خارق للعادة مقدمة وتمهيداً وتوطئة وتأسيساً لها(٦).

---

(١) انظر: النبوات لابن تيمية (٦٧٣/٢).

(٢) انظر: الإرشاد للفوزان (ص١٥٩)، والكواشف الجلية في معاني الواسطية للسلمان (ص٧٤١-٧٤٢).

(٣) انظر: الإرشاد للفوزان (ص١٥٩).

(٤) انظر: علم التوحيد للربيعة (ص١٢٧)، ومذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي (ص٦٢).

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤٤/٧)، والمعجم الوسيط (٣٩١/١).

(٦) انظر: النبوات لابن تيمية (١٥١/١)، والجواب الصحيح لابن تيمية (٤٠٨/٦)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٢/٢)، وكشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوي (٧٣١/١)، والعقائد السلفية لأحمد بن حجر (٤٢٤/٢)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١٢٨،١١٦).

ويعرفه الجرجاني بقوله هو:"ما يظهر من الخوارق عن النبي ﷺ قبل ظهوره"(١).

وقال أيضاً:"ما يصدر من النبي ﷺ قبل النبوة من أمر خارق للعادة"(٢).

ومثال الإرهاصات: ولادة عيسى عليه السلام من غير أب، وكلامه في المهد، كما قال الله تعالى:﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٣)، وقوله تعالى:﴿ يَتَأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾(٤).

وإلقاء موسى عليه السلام وهو صغير في اليم، وهو داخل الصندوق، ولم يغرق، ولم تجرفه الأمواج إلى عرض البحر، كما قال الله تعالى لموسى عليه السلام:﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾(٥) وقوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٦).

وسلام الحجر على النبي ﷺ وهو بمكة قبل بعثته(٧)، وما رأته أمه ﷺ عند ولادته ﷺ من خروج نور أضاءت له قصور الشام(٨).

---

(١) التعريفات (ص٣١).

(٢) التعريفات (ص٣١).

(٣) سورة آل عمران، الآيات ٤٥-٤٧.

(٤) سورة مريم، الآيات ٢٩-٣٤.

(٥) سورة طه، الآيات ٣٨-٣٩.

(٦) سورة القصص، الآية ٧.

(٧) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (٣٦/١٥).

(٨) رواه أحمد في المسند (٢٦٢/٥)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٢/٤، رقم ١٥٤٦).

المطلب الثاني: أوجه الاتفاق والافتراق بين المعجزة والإرهاص.

المتأمل في تعريف المعجزة وتعريف الإرهاص يجد التقارب الشديد بينهما، ولعلنا نلخص أوجه التقارب والافتراق كما يذكرها أهل العلم في تضاعيف كتبهم، وذلك كما يلي:

١- المعجزة والإرهاص كلاهما آية من آيات الله تبارك وتعالى اختص بهما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٢- المعجزة والإرهاص كلاهما خارق من خوارق العادات.

٣- المعجزة كما تقدم هي كل خارق يجريه الله تعالى على يد الأنبياء عليهم السلام بعد إرسالهم ودعواهم النبوة، والإرهاص هو كل ما يصدر عن النبي ﷺ قبل النبوة من أمر خارق للعادة مقدمة وتمهيداً وتوطئة وتأسيساً لها، وإعلاماً وبشارة بمجيئهم عليهم الصلاة والسلام.

٤- يطلق بعض العلماء مصطلح المعجزة على الإرهاص أحياناً، كما فعل الإمام النووي رحمه الله في أثناء شرحه لحديث سلام الحجر على النبي ﷺ قبل البعثة[١].

٥- يسمي بعض العلماء الإرهاصات التي تحدث للأنبياء قبل بعثتهم بالكرامات؛ حيث إنهم قبل النبوة لا يقصرون ولا ينزلون عن درجة الأولياء[٢].

قال السبكي في تعريف الإرهاص هو:" أنْ يختص الرسول قبل رسالته بالكرامات"[٣].

وقال الجرجاني عن الإرهاص:" وقيل: إنها من قبيل الكرامات، فإنَّ الأنبياء قبل النبوة لا يقصرون عن درجة الأولياء"[٤].

٦- لم يقر المعتزلة بالإرهاص كما لم يقروا ولم يؤمنوا بالكرامات كما تقدم، وقالوا بعدم جواز وقوعه، وأهل السنة على جواز وقوعهما، والإيمان بما صح وقوعه منهما[٥].

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٣٦).

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣٣٥/٢)، والتعريفات للجرجاني (ص٣١)، وكشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوي (٧٣١/١).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٣٣٥/٢).

(٤) التعريفات (ص٣١).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٣١٣/١٤)، (١٧/٢٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٠٤/٥)، وروح المعاني للآلوسي (٤٨١/٨).

المبحث الرابع: الفرق بين المعجزة والمعونة

المطلب الأول: تعريف المعونة.

المعونة في اللغة مفعلة من العون، بمعنى الظهير على الأمر والنصير والمساعد، يقال تعاونوا: أي ظاهر بعضهم بعضاً، والمعونة الإعانة، ويقال: فلان معوان، أي: حسن المعونة(١).

والمعونة في الاصطلاح حسب ما يراد بها في هذه الدراسة هي: ما يظهره الله تعالى على يد بعض العوام من المسلمين وضعفاء أهل الدين من أمر خارق، تخليصاً لهم من المحن والشدة والمكاره(٢).

وبتعبير آخر قيل هي: ما يظهره الله على يد الفاسق من علامة تدل على صدقه، وبراءة ساحته مما يقذف به(٣).

وقيل هي: الأمر الخارق الذي يخرج لبعض الفسقة للدلالة على صدقه في بعض ما يصدق فيه، وبراءة ساحته مما يقذف به(٤).

والمعونة جائزة الوقوع عقلاً وشرعاً في معتقد أهل السنة والجماعة، وقد أنكرها من أنكر الكرامات، وهم المعتزلة ومن نحا نحوهم(٥).

المطلب الثاني: أوجه الاتفاق والافتراق بين المعجزة والمعونة.

من خلال تعريف المعجزة وتعريف المعونة يظهر لنا أوجه التقارب والافتراق بينهما، ولعل ذلك يتضح فيما يلي:

١-المعجزة والمعونة كلاهما آية من آيات الله تبارك وتعالى.

٢-تعدُّ المعونة كما في تعريفها الاصطلاحي من خوارق العادة.

٣-المعجزات يجريها الله تعالى على يد أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، والمعونة يظهرها الله إنْ أراد سبحانه وتعالى على يد بعض العوام والفسقة.

٤-المعجزات يجريها الله تعالى على يد الأنبياء والرسل للدلالة على صدقهم وصدق دعواهم والإيمان بما جاؤوا به، والمعونة إنْ أظهرها الله على يد بعض العوام أو

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٢٨/١٣-٢٩٩)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (٢٥٠/٤)، والمعجم الوسيط (٦٦١/٢).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني (ص٢٨٥)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٢/٢)، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١٥١،٧٣١/١)، والعقائد السلفية لأحمد بن حجر (٤٢٥/٢)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١١٦).

(٣) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص١٧٥).

(٤) انظر: علم التوحيد للربيعة (ص١١٦).

(٥) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص١٧٥)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣٢٠/٢)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٢/٢).

الفسقة تكون لحاجته لها؛ كبيان براءة ساحته مما أصابه أو قذف به، أو بيان صدق قوله في الواقعة والمحنة والشدة التي ألمت به.

٥-جعل الله تعالى المعجزات لحكم عظيمة عديدة كما تقدم ذكر شيء منها، وجعل الله تعالى أيضاً المعونة لحكم عظيمة؛ منها إحقاق الحق والعدل، ونصرة المحتاج، فالمعونة هي رحمة من الله سبحانه وتعالى بعباده، فرحمته عز في علاه وسعت كل شيء، فهو يعين كل محتاج إليه من عباده حتى الفاسقين منهم، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾[١]، وقوله تعالى:﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٢].

المبحث الخامس: الفرق بين المعجزة والاستدراج

المطلب الأول: تعريف الاستدراج.

الاستدراج في اللغة من درج البناء ودرجه، مراتب بعضها فوق بعض، ويقال: درجه إلى كذا واستدرجه، بمعنى: أدناه منه على التدريج فتدرج، ورقاه من درجة إلى درجة، وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣]، أي: سنأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم، ويقال: استدرج الله العبد، أمهله ولم يباغته، ثم أخذه من حيث لا يحتسب[٤].

أما الاستدراج في الاصطلاح حسب ما يراد به في هذه الدراسة فهو: ما يظهر على يد فاسق من خارق خديعة ومكراً به[٥].

وقيل هو: الخارق الذي يظهر من الكفار وأهل الأهواء والفسّاق[٦].

وقيل هو: الخارق الظاهر على يد فاسق وذي دجل، وإنْ كان على وفق مراده[٧].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٢.

(٤) انظر: مختار الصحاح للرازي (ص٢٠٢)، ولسان العرب لابن منظور (٢/٢٦٦-٢٦٨)، والمعجم الوسيط (١/٢٨٧).

(٥) انظر: علم التوحيد للربيعة (ص١١٦)، والكواشف الجلية في معاني الواسطية للسلمان (ص٧١٧).

(٦) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (١/١٥٠).

(٧) انظر: العقائد السلفية لأحمد بن حجر (٢/٤٢٥).

وقيل هو: الإهانة بالنظر إلى المآل، والدنو إلى عذاب الله بالإمهال، قليلاً قليلاً، وأنْ يرفعه الشيطان درجة إلى مكان عال، ثم يسقط من ذلك المكان حتى يهلك هلاكاً[١].

وقيل هو: أنْ تكون بعيداً من رحمة الله تعالى، وقريباً إلى العقاب تدريجياً، وأنْ يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتاً فوقتاً، إلى أقصى عمره، للابتدال بالبلاء والعذاب[٢].

ولقد ضرب الله تبارك وتعالى مثلاً على الاستدراج في كتابه العزيز حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[٣].

وهذه الآية الكريمة كما جاء عن الصحابة الكرام وعلماء الإسلام جاءت في حق بلعم ويقال بلعام بن باعوراء ويقال ابن باعور؛ أحد علماء بني إسرائيل، منَّ الله تعالى عليه بآيات؛ لكنه نكث على عقبيه، وانسلخ منها والعياذ بالله[٤].

قال ابن مسعود ﷺ في المقصود بالآية السابقة:" هو رجل من بني إسرائيل، يقال له بلعم بن باعوراء"[٥].

وقال مالك بن دينار رحمه الله:" كان من علماء بني إسرائيل، وكان مجاب الدعوة، يقدمونه في الشدائد، بعثه نبي الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوه إلى الله، فأقطعه وأعطاه، فتبع دينه، وترك دين موسى عليه السلام"[٦].

والاستدراج بالمعنى المذكور هنا جائز الوقوع عقلاً وشرعاً في معتقد أهل السنة والجماعة، وقد أنكره من أنكر الكرامات والمعونة، وهم المعتزلة ومن نحا نحوهم[٧]، ويطلق عليه بعض أهل العلم مصطلح " الفتنة"[٨].

---

(١) انظر: التعريفات للجرجاني (ص٣٣).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني (ص٣٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٧٥.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٧٤٧/٢).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٧٥/٢).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٧٥/٢).

(٧) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص١٧٥)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣٢٠/٢)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٢/٢).

(٨) انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص٦٤٣).

المطلب الثاني: أوجه الاتفاق والافتراق بين المعجزة والاستدراج.

من خلال تعريف المعجزة وتعريف الاستدراج يظهر لنا جلياً أوجه التقارب والافتراق بينهما، ولعل ذلك يتضح فيما يلي:

١- المعجزة وآية الاستدراج كلاهما آيات من عند الله تبارك وتعالى.

٢- يعدُّ ما يظهر على من آتاه الله آيات وفيها مخالفة للعادة، من خوارق العادات، ومن ذلك المستدرج الذي آتاه الله آية من آياته، فنكث وانسلخ والعياذ بالله، كما في قصة بلعام بن باعوراء.

٣- المعجزات مآلها إلى تصديق وخير وبركة ونفع وعطاء وتشريف واعتزاز، والاستدراج فيه ابتلاء وامتحان ومحنة، ومآله إلى ذل وإهانة وعذاب وتنكيل وكفران[١]، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾[٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[٣].

٤- المعجزات يجريها الله تعالى على يد أتقى الخلق وأقربهم إليه سبحانه وتعالى، وهم أنبياؤه ورسله عليهم الصلاة والسلام، والاستدراج يكون على يد فاسق مكراً وخديعة به؛ لنكوثه وانسلاخه وغروره وتكبره على آيات الله ودينه سبحانه وتعالى، واتباعه لهواه وخطوات الشيطان، فهو تمكين من النعم مع كفران ونسيان للشكر، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤].

قال التهانوي رحمه الله:" فإذا مال قلب العبد إلى الدنيا ثم أعطاه اللّه مراده، فحينئذ يصل إلى المطلب، ويزيد حصول اللذة والميل، وزيادته توجب زيادة السعي، ولا يزال تتقوى كل من هاتين الحالتين درجة فدرجة، إلى أنْ تتكامل وتحصل غاية البعد. فصاحب الاستدراج يستأنس بذلك، ويظن أنّه إنّما وجد تلك الكرامة؛ لأنّه كان مستحقّا

---

(١) انظر:قاعدة في المعجزات والكرامات لابن تيمية (ص٢٢)، ومدارج السالكين لابن القيم (١/١٧١-١٧٢)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٧٤٧)، والكليات لأبي البقاء الكفوي (ص١٥٧).

(٢) سورة الأعراف، الآيات ١٨٢-١٨٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٤٤.

(٤) سورة الأعراف، الآيات ١٧٥-١٧٦.

لها، فحينئذ يستحقر غيره، وينكر عليه، ويحصل له أمر من مكر اللّه وغفلة، فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دلّ ذلك على أنها استدراج، فإنَّ صاحب الكرامة لا يستأنس بها بل يصير خوفه من اللّه أشدّ وحذره من قهره أقوى، وإنْ كان بحسب الواقع كرامة له. ولذا قال المحقّقون: أكثر الانقطاع من حضرة اللّه تعالى إنّما وقع في مقام الكرامات، فلا جرم ترى المحقّقين يخافون من الكرامات كما يخافون من أشدّ البلايا، وهذا هو الفرق بين الكرامة والاستدراج"(١).

٥- المعجزة مأمونة العاقبة، بينما آية الاستدراج غير مأمونة العاقبة، فقد تكون خاتمتها شقاء(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" ولهذا كثيراً ما يعاقب أصحاب الخوارق، تارة بسلبها؛ كما يعزل الملك عن ملكه، ويسلب العالم علمه. وتارة بسلب التطوعات؛ فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة، وتارة ينزل إلى درجة الفساق، وتارة يرتد عن الإسلام. وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية؛ فإنَّ كثيراً من هؤلاء يرتد عن الإسلام، وكثير منهم لا يعرف أنَّ هذه شيطانية، بل يظنها من كرامات أولياء الله، ويظن من يظن منهم أنَّ الله عز وجل إذا أعطى عبداً خرق عادة لم يحاسبه على ذلك، كمن يظن أنَّ الله إذا أعطى عبداً ملكاً ومالاً وتصرفاً لم يحاسبه عليه"(٣).

المبحث السادس: الفرق بين المعجزة والإهانة

المطلب الأول: تعريف الإهانة.

الإهانة في اللغة من الهون، وهو الخزي، وهو نقيض العز، ومنه قوله:﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾(٤)، ويقال: أهانه وهوّنه واستهان به، أي استخف به، واستحقره، وأذله، ويقال: رجل فيه مهانة؛ أي ذل وضعف(٥).

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٧٣٢/١).

(٢) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص١٧٥)، وفتح الباري لابن حجر (٣٦٤/١٣)، والكواشف الجلية في معاني الواسطية للسلمان (ص٧١٧).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٢٥٥).

(٤) سورة فصلت، الآية ١٧.

(٥) انظر: مختار الصحاح للرازي (ص٧٠٢)، ولسان العرب لابن منظور (٤٣٨/١٣-٤٣٩)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (٢٧٨/٤).

والمقصود بالإهانة من الناحية الاصطلاحية في هذا الموطن: ما يظهر من الخوارق على يد الفاسق أو الكافر ممن ادعى الألوهية أو النبوة أو غيرهما مخالفة لمراده وتكذيباً له، كما لو قال: معجزتي نطق هذا الحجر، فنطق بأنه مفتر كذاب[١].

ومن ذلك ما حصل لمسيلمة الكذاب ونقل عنه؛ فقد قيل: إنه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة، وإنه مسح على رأس غلام يتساقط بعض شعره فسقط جميع الشعر وزال بالكلية، وتفل في بئر ليكثر ماؤها فغاض ماؤه بالكلية، وتفل في بئر ليعذب ماؤها فصارت ملحاً أجاجاً، وقال بأقوال وعبارات حاول فيها محاكاة آيات القرآن الكريم فأصبحت أضحوكة من سماجتها وضعفها[٢].

المطلب الثاني: أوجه الاتفاق والافتراق بين المعجزة والإهانة.

من خلال تعريف المعجزة وتعريف الإهانة المذكور يظهر لنا جلياً أوجه التقارب والافتراق بينهما، ولعل ذلك يتضح فيما يلي:

١- يعدُّ ما جرى لمن أهانه الله من أمور عجيبة، هو خارق للعادة؛ ولكنه ليس من جنس آيات الرسل ومعجزاتهم وخوارقهم[٣].

٢- آيات الأنبياء ومعجزاتهم موافقة لقولهم ومرادهم وما جاؤوا به، وخوارق هؤلاء غير موافقة لمرادهم ومبتغاهم ودعواهم.

٣- خوارق الأنبياء ومعجزاتهم صادقة تدل على صدقهم، وصدق ما جاؤوا به، وما يأتي به من أراد الله إهانته من خوارق تدل على كذبهم وكذب دعواهم.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- عن قصص مسيلمة السابقة الذكر:"هذا خارق للعادة، وليس موافقاً لها، لكن كان تكذيباً لا تصديقاً"[٤].

وقال أيضاً:"فهذا خارق للعادة، لكنه إهانة، ودليل على كذبه"[٥].

٤- خوارق الأنبياء ومعجزاتهم فيها إعزاز وتشريف ورفعة، وما يقع لصاحب الإهانة من خارق فيه إذلال وتكذيب وتحقير وإهانة.

---

(١) انظر: التعريفات للجرجاني (ص٣٣)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٢/٢)، وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري (ص١٣٣)، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (١٥٠،٧٣١/١)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص٥٥٦-٥٥٧،٦٤٤)، والعقائد السلفية لأحمد بن حجر (٤٢٥/٢)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١١٦-١١٧).

(٢) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص٢٢٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣٣١/٦)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٢/٢)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (ص٥٥٦-٥٥٧، ٦٤٤)، وعلم التوحيد للربيعة (ص١١٦-١١٧).

(٣) انظر: النبوات لابن تيمية (١٩٤/١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٩٠/١٣).

(٤) شرح العقيدة السفارينية (ص٥٥٧).

(٥) شرح العقيدة السفارينية (ص٦٤٤).

قال حافظ الحكمي – رحمه الله – عن مسيلمة الكذاب ومحاولة معارضته للقرآن الكريم:"لما فعل ذلك، جعل الله تعالى كلامه أسمج مايسمع، وأرك ماينطق به، وصار أضحوكة للصبيان في كل زمان ومكان، حتى إنه لا يشبه كلام العقلاء، ولا المجانين، ولا النساء، ولا المخنثين، وصار كذبه معلوماً عند كل أحد"(١).

(١) معارج القبول (٤٠٧/٢).

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته وفضله وكرمه ومنّه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فبتوفيق وفضل من الله عز في علاه وصلت إلى إتمام هذه الدراسة، التي تناولت فيها مسألة "الفرق بين المعجزات وغيرها من خوارق العادات"، وقد استغرق إعدادها وجمعها وصياغتها جهداً ووقتاً ليس بالهين، سائلاً المولى سبحانه وتعالى أنْ يبارك وينفع بها، وأنْ يجعلها في موازين حسناتي، وقد تحدثت فيها عن الفرق بين المعجزات، وغيرها من خوارق العادات، والتي جاءت في فصلين، يسبقها مقدمة، ويقفوهما خاتمة، وقد اشتمل الفصلان على مباحث ومطالب، تم فيه الحديث عن: المعجزة ببيان مفهومها، وألفاظها الدالة عليها، وشروطها، وجواز وقوعها، ودلالتها، وحكم الإيمان بها، وحِكمها، وأنواعها، والحديث عن خوارق العادات التي قد تقع؛ ببيان مفهوم الخوارق، وأنواعها، والحديث عن كل نوع منها، وموقف الكتاب والسنة منها، وأوجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين المعجزات، والخوارق التي تم الحديث عنها هي: الكرامة، والسحر، والإرهاص، والمعونة، والاستدراج، والإهانة، ولعل من المناسب في نهاية المطاف أنْ أذكر أهم نتائج الدراسة، وتوصياتها، والتي أجملها فيما يلي:

١- إنَّ لكل دعوى أدلة وبراهين تدل على صحتها وصدق مدعيها، ولما كان الأمر كذلك أيد الله تبارك وتعالى رسله وأنبياءه بأدلة عديدة تدل على صدق قولهم، وصحة ما جاؤوا به، ومن تلك الأدلة العظيمة؛ المعجزات والآيات البينات.

٢- إنَّ دراسة مسألة "الفرق بين المعجزات وغيرها من خوارق العادات" يعدُّ في البحث والتخصص من الأهمية بمكان، وهي تندرج تحت الأصل الرابع من أصول وأركان الإيمان الستة، وهو الإيمان بأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

٣- إنَّ العلماء عرفوا المعجزة بتعاريف عدّة متقاربة أحياناً، مع بعض الاختلاف في اللفظ والمراد أحياناً أخرى، وهي من العجز، بمعنى الضعف وعدم القدرة، وفي الاصطلاح: الأمر الخارق للعادة، الخارج عن سنن الله في خلقه، الذي يظهره الله على يد مدعي النبوة، على وفق مراده، تصديقًا له في دعواه، وتأييدًا له في رسالته.

٤- إنَّ المعجزات تسمى عند العلماء والنظار بأسماء عدة؛ أشهرها: المعجزات، كما يطلق عليها ضمناً اسم "دلائل النبوة"، و"أعلام النبوة"، و"علامات النبوة"، وعند

التحقيق هناك فرق بين دلائل وعلامات النبوة وبين المعجزات، حيث إنَّ المعجزات من ضمن الدلائل والعلامات وليست كلها، فدلائل النبوة أو علامات النبوة يراد منها كل دليل يثبت نبوة محمد ﷺ ويبرهن على صدقه.

٥- إنَّ لفظ " المعجزات " لم يرد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والذي ورد في الكتاب والسنة في الدلالة على المعجزة من ألفاظ هو: الآية، والبرهان، والبينة.

٦- للمعجزات ضوابط وشروط عدّة ذكرها أهل العلم رحمهم الله.

٧- إنَّ الإيمان بالمعجزات وحجيتها واجب لا ينكره إلا مغالط جاحد خاضع للهوى أو الجهل، كما أنَّ نصوص كتب أصحاب الديانات الأخرى؛ كاليهودية والنصرانية، تحدثت عن وقوع المعجزات، ووجوب الإيمان بها.

٨- إنَّ معجزات نبينا محمد ﷺ كثيرة جداً، أكثر من أنْ تحصى أو تحصر، وهب الله تعالى له ﷺ منها ما لم يهب للأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام جميعاً، وقد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية.

٩- إنَّ كل خارقة حدثت أو تحدث إلى يوم القيامة؛ فلا يصح ردها ولا قبولها إلا بعد عرضها على أحكام الشريعة، فإنْ ساغت فهي صحيحة مقبولة في موضعها، وإلا لم تقبل، إلا الخوارق الصادرة على أيدي الأنبياء عليهم السلام، فإنه لا نظر فيها لأحد؛ لأنها واقعة على الصحة قطعاً.

١٠-إنَّ المعجزات مما يجوز وقوعها عقلاً، فإنَّ مخالفة السنن الكونية المعروفة مما لم يقع دليل على استحالته، فهي وإنْ كانت مخالفة للعادة داخلة في نطاق الممكنات العقلية، ولا يلزم أنْ يكون المخالف لسنن الكون مخالفاً للعقل أو محالاً.

١١-إنَّ ما يجريه الله تعالى من معجزات وخوارق على يد أنبيائه وأوليائه وفيها خرق لعادة الآدميين، له أسبابه، وأنَّ ذلك من سنته وعادته في أمثال ذلك، فإنَّ من سنة الله تعالى اختصاصه لأنبيائه والذين آمنوا بهم بخصائص يمتازون بها عن غيرهم؛ كالمعجزات والكرامات وغيرها، كما أنَّ من سنته محبته ورضاه وثوابه لا يكون إلا لمن عبده وأطاعه، وجعله العاقبة للمتقين، ونصره للمؤمنين.

١٢-إنَّ المعجزات من أعظم دلائل النبوة الكثيرة الدالة على نبوة الأنبياء والرسل عليهم السلام ولها حِكم كثيرة، وهي ليست الدليل الوحيد على صدق الأنبياء والرسل، كما ذهب إليه بعض المتكلمين.

١٣-اتفق العلماء على أنَّ المعجزات علم صدق، وأنها دالة على صدقهم في نبوتهم وما جاؤوا به، إلا أنهم اختلفوا وذكروا طرقاً عدة في وجه دلالتها على صدق الرسل.

١٤-إنَّ آيات ومعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، اختلفت وتعددت أنواعها، وتباينت مظاهرها وأشكالها وألوانها، ناسبت في الغالب ما انتشر وبرز في عصورهم، اجتمعت في عجز البشر عن الإتيان بمثلها زرافات أو وحداناً.

١٥-إنَّ الآيات والمعجزات تندرج تحت أمور ثلاثة، أولها: العلم، وثانيها: القدرة، وثالثها: الغنى، وبعضهم يجعلها تندرج تحت أمرين، أولها: العلم، وثانيها: القدرة، ويجعل القدرة في نوعين؛ قدرة على الفعل وهي التأثير، وقدرة على الترك؛ وهي الغنى.

١٦-الخارق مفرد، وجمعه خوارق، وخوارق العادات هي: ما يأتي ويصدر على خلاف العادة الكونية، التي اعتادها الآدميون، وتثبت ولو بمرة واحدة.

١٧-إنَّ لخوارق العادات أنواعاً عدة، فمنها ما هو محمود في الدين، ومنها ما هو مذموم، وهي: المعجزة، والإرهاص، والكرامة، والمعونة، والاستدراج، والإهانة، والسحر.

١٨-الكرامة من الكرم، بمعنى الإكرام والتفضيل والعطاء، والكريم اسم من أسماء الله تعالى، فهو سبحانه كثير الخير والعطايا، وهي: أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد، والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم.

١٩-اتفق علماء أهل السنة على جواز وقوع الكرامات عقلاً، ووقوعها واقعاً وشرعاً، وأنها ليست مستحيلة في ذاتها، ووجوب الإيمان بها، إذ لا تعدو أنْ تكون خارقة للعادة، مما تشمله القدرة الإلهية، والوقائع الصحيحة في ذلك كثيرة متواترة مشهورة.

٢٠-إنكار الكرامة مخالف لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه سلف الأمة من اعتقاد، وقد أنكرها أكثر المعتزلة، وأبي إسحاق الإسفراييني، والحليمي من الأشاعرة، وأبي محمد بن حزم، وذلك خوفاً من اشتباه النبي بالولي، وخروجه عن كونه خارقاً.

٢١-ينبغي أخذ الحيطة فيما يروى ويذكر من كرامات، فليس كل ما يقال صدقاً، فقد يكون دجلاً وكذباً وشعوذة وأحوالاً شيطانية وغواية وإضلالاً، لذا وضع العلماء ضوابط لا بد أن تتحقق فيما يقال له كرامة، كي يتم التمييز بينها وبين غيرها.

٢٢-المتأمل في المعجزات والكرامات التي جرت ووقعت لأنبياء الله وأوليائه الصالحين، يجد العديد من أوجه الاتفاق والافتراق بينها.

٢٣-يسمي بعض علماء السلف؛ كأحمد وغيره خوارق الأولياء معجزات وآيات، لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي، حيث إنَّ الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته

بدون ثبوت المدلول، والذي استقر عليه العلماء المتأخرين أنَّ ما يخص الأنبياء يسمى معجزة، وما يخص الأولياء يسمى كرامة، وهي أخف قدراً من المعجزة.

٢٤-إنَّ آيات الأولياء هي من جملة آيات الأنبياء؛ فهي مستلزمة لنبوّتهم، ولصدق الخبر بنبوّتهم؛ فإنه لولا الله ثم الأنبياء واتباعهم لهم، لما كان هؤلاء أولياء، ولم يكن لهم كرامات.

٢٥-إنَّ الله قد يعطي الكرامة لعبد إكراماً له لصلاحه وقوة إيمانه، وقد يكون لسد حاجة كالطعام والشراب والأمن، وقد يكون تثبيتاً وإعانة ونصرة للدين والحق، وإبطال الباطل، وقد تقع لتقوية وزيادة إيمانه، ومع ذلك فهي غير مأمونة العاقبة ولا يؤمن على صاحبها الفتنة.

٢٦-إنَّ صاحب المعجزة قد يظهرها ويتحدى بها، إذ أنها دليل من أدله صدقه فيما يدعيه ويقوله، وصاحب الكرامة يخفيها في الغالب، وقد تظهر عند الحاجة لذلك تشريفاً وتأييداً ونصراً.

٢٧-السحر فن من الفنون له أصوله وقواعده، يتطلب مادة وخبرة لدى من يمارسه، أساسه التقرب إلى الشياطين، وطلب العون منهم، وهو: كل ما لطف مأخذه ودق وخفي سببه، وهو عبارة عن: عزائم ورقى وعقد، وكلام يتكلم به، أو يكتب، أو يعمل، يؤثر في القلوب والأبدان؛ فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبة.

٢٨-السحر جائز الوقوع عقلاً وشرعاً، والمتأمل لأنواعه وأشكاله وصوره يجد أنها لا تخرج عن دائرة قدرة الإنس والجن، وهي معتادة للسحرة والكهان، خارقة بالنسبة لغيرهم.

٢٩-ينقسم السحر إلى قسمين، أولها: تخييل وإيهام، لا حقيقة له يرهب بظاهره، ويؤثر في القلوب، وهذا النوع أقر به المعتزلة، وأنكروا النوع الثاني، بناء على إنكارهم لجميع الخوارق؛ سوى المعجزات، وثانيها: وقوعه حقيقة، فالساحر قد يأتي بفعل أو قول يتغير به حال المسحور، فيكون سبباً لمرض أو موت، أو تفريق بين زوجين.

٣٠-إنَّ الناظر فيما يأتي به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من آيات ومعجزات، وما يقوم به السحرة والكهان من خوارق يجد فوارق شاسعة كثيرة لا تحصى بينهما.

٣١-إنَّ الإرهاص أحد خوارق العادات، وهو: تأسيس البنيان، ومقدمة الشيء والإيذان به، وهو في الاصطلاح: كل ما يصدر عن النبي ﷺ قبل النبوة من أمر خارق للعادة مقدمة وتمهيداً وتوطئة وتأسيساً لها.

٣٢-إنَّ المتأمل في تعريفي المعجزة والإرهاص يجد التقارب الشديد بينهما، ويجد أنَّ الإرهاص يفترق عن المعجزة، بأنَّ الإرهاص هو ما يقع للنبي من خارق قبل نبوته، والمعجزة الخارق بعد النبوة.

٣٣-أطلق بعض العلماء مصطلح المعجزة على الإرهاص، كما أطلق بعضهم عليه مصطلح الكرامة؛ وذلك من باب أنَّ الأنبياء قبل النبوة لا يقصرون ولا ينزلون عن درجة الأولياء.

٣٤-المعونة من العون، بمعنى الظهير على الأمر والنصير والمساعد، ويقصد بها: ما يظهره الله تعالى على يد بعض العوام من المسلمين وضعفاء أهل الدين، من أمر خارق، تخليصاً لهم من المحن والشدة والمكاره.

٣٥-أنكر المعتزلة ومن نحا نحوهم الإرهاص والمعونة كما أنكروا الكرامات، وقالوا بعدم جواز وقوعهما، وأهل السنة على جواز وقوعهما، والإيمان بما صح وقوعه وحدوثه منها.

٣٦-إنَّ الله تعالى جعل المعونة لحكم عظيمة؛ منها إحقاق الحق والعدل، ونصرة المحتاج، فهي رحمة من الله سبحانه وتعالى بعباده، حتى الفاسقين منهم.

٣٧-الاستدراج من درج البناء ودرجه، مراتب بعضها فوق بعض، ويقال: استدرج الله العبد، أمهله ولم يباغته، ثم أخذه من حيث لا يحتسب، ويراد به: ما يظهر على يد فاسق من خارق خديعة ومكراً به، وأوله كرامة وآخره ذل وندامة ومهانة.

٣٨-إنَّ المعجزات مآلها إلى تصديق وخير وبركة ونفع وعطاء وتشريف واعتزاز، والاستدراج فيه ابتلاء وامتحان ومحنة، ومآله إلى ذل وإهانة وعذاب وتنكيل وكفران.

٣٩-الإهانة من الهون، وهو الخزي، وهو نقيض العز، ويراد بها: ما يظهر من الخوارق على يد الفاسق أو الكافر ممن أدعى الألوهية أو النبوة أو غيرهما مخالفة لمراده وتكذيباً له.

وأخيراً: لعل من أهم ما أوصي به في نهاية المطاف: دراسة مسألة المعجزات، وما تشتمل عليه من مسائل ومطالب، وذلك من خلال كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وبيان منهجه في ذلك، وأخص بالذكر: كتاب النبوات، والجواب الصحيح،

والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وقاعدة في المعجزات والكرامات، وما تضمنه مجموع الفتاوى حول المعجزات، وغير ذلك من مؤلفات.

هذا: وفي نهاية هذه الرحلة والتطواف أسأل الله سبحانه أنْ أكون قد وفقت لبلوغ الهدف والمراد، مع علمي علم اليقين بأنَّ عمل البشر لا يخلو من عيب وخلل، كما أسأله سبحانه أنْ ينفع بهذه الدراسة، وأنْ يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار على طريقه ونهجه إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

١- الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها، هدى عبدالكريم، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ.

٢- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح الفوزان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١١هـ.

٣- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تقديم: خليل الميس، وولي الدين صالح فرفور، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩ه.

٤- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبو المعالي عبد الملك الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٦٩ه.

٥- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز السلمان، مطبعة المدينة، الرياض، الطبعة الثامنة، ١٣٩٩ه.

٦- الإسراء والمعراج، محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة العلم، القاهرة.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٨- أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ.

٩- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ الحكمي، تحقيق: مصطفى أبو النصر، مكتبة السوادي، الرياض، ١٤١٠هـ.

١٠- أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ .

١١- أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٢- البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارجنات، محمد بن الطيب الباقلاني، تصحيح يوسف اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٨م.

١٣- البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ه.

١٤- البحر المحيط، محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ه.

١٥- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨هـ.
١٦- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
١٧- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
١٨- التوسل والوسيلة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: ربيع المدخلي، مكتبة لينا، دمنهور، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
١٩- الثمرات الزكية في العقائد السلفية، أحمد فريد، مكتبة التوبة الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٢٠- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر، وعبد العزيز بن إبراهيم العسكر، وحمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٢١- حاشية الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية للسفاريني، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
٢٢- الحق المبين في علاج السحر والصرع والعين، عبدالله الطيار، وسامي المبارك، دار الوطن، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٢٣- حلية الأولياء، أبو نعيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٢٤- درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ه.
٢٥- دراسات في العقيدة الإسلامية، خالد القط، دار الهاني للطباعة، القاهرة، ٢٠١٥م.
٢٦- دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٢٧- دلائل النبوة، البيهقي، تحقيق: عبد المعطي القلعجي، دار البيان للتراث، القاهرة.
٢٨- رسالة التوحيد، محمد عبده، تقديم: حسين الغزال، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٦هـ.
٢٩- الرسل والرسالات، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٢٥هـ.

٣٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ه.
٣١- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ه.
٣٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
٣٣- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٢هـ.
٣٤- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مكتبة مصطفى البابي، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ.
٣٥- شرح أصول الإيمان، محمد بن عثيمين، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠ه.
٣٦- شرح أم البراهين، محمد بن محمد السنوسي، مطبعة الاستقامة، الطبعة الأولى، ١٣٥١ه.
٣٧- شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم البيجوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
٣٨- شرح العقيدة السفارينية، محمد بن عثيمين، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ه.
٣٩- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز علي بن علي الحنفي، تحقيق: عبد الله التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ.
٤٠- شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس، مراجعة: عبد الرزاق عفيفي، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة السادسة.
٤١- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٤٢- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٤٣- صحيح مسلم بشرح النووي، مسلم بن الحجاج النيسابوري، المطبعة المصرية، القاهرة.

٤٤- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي السبكي، تحقيق: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٣ه.
٤٥- العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، أحمد بن حجر آل بوطامي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٤٦- علم التوحيد، عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٤٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٤٨- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٤٩- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: محمد حامد الفقي، وتعليق: عبد العزيز بن باز، دار الكتاب الإسلامي، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٥٠- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقديم: صالح الفوزان، تحقيق: عبد الرحمن اليحيى، دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
٥١- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
٥٢- قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: سليمان الغصن، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١ه.
٥٣- قاعدة في المعجزات والكرامات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: حماد سلامة، إشراف: محمد عويضة، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى،١٤١٠ه.
٥٤- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الحديث، القاهرة.
٥٥- الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله التركي، هجر للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ه.
٥٦- كبرى اليقينيات الكونية، محد سعيد البوطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
٥٧- الكتاب المقدَّس بعهديه: القديم (٣٩ سفراً)، والجديد (٢٧ سفراً)، دار الكتاب المقدَّس في الشرق الأوسط، طبعة: ١٩٩٥م.

٥٨- كرامات أولياء الله عز وجل، أبو القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٥٩- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.
٦٠- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩ه.
٦١- الكواشف الجلية في معاني الواسطية، عبدالعزيز السلمان، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٠هـ.
٦٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ودار صادر، بيروت.
٦٣- لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
٦٤- مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٢ه.
٦٥- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، المملكة العربية السعودية.
٦٦- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، محمد بن صالح بن عثيمين، تحقيق: فهد السليمان، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣ه.
٦٧- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.
٦٨- مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: محمود خاطر، وحمزة فتح الله، دار البصائر، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٦٩- مذكرة التوحيد، عبدالرزاق عفيفي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٧٠- المسند، أحمد بن حنبل، فهرسة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.
٧١- معجم ألفاظ العقيدة، عامر بن عبد الله فالح، تقديم: عبد الله بن جبرين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧ه.
٧٢- معارج القبول، حافظ بن أحمد الحكمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٣- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، الدار العربية، بغداد.
٧٤- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة.

٧٥- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت.
٧٦- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
٧٧- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ه.
٧٨- المفيد في مهمات التوحيد، عبد القادر محمد عطا صوفي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ه.
٧٩- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت.
٨٠- من معجزات النبي ﷺ، عبد العزيز السلمان، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٠٧ه.
٨١- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ.
٨٢- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، ومحمد عبد الله دراز، وعبد السلام عبد الشافي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ه.
٨٣- النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمة، تحقيق: عبد العزيز الطويان، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ه.
٨٤- ولاية الله تعالى، أبو بكر جابر الجزائري، مطابع الإيمان الحديثة، المدينة المنورة، ١٤١٧ه.